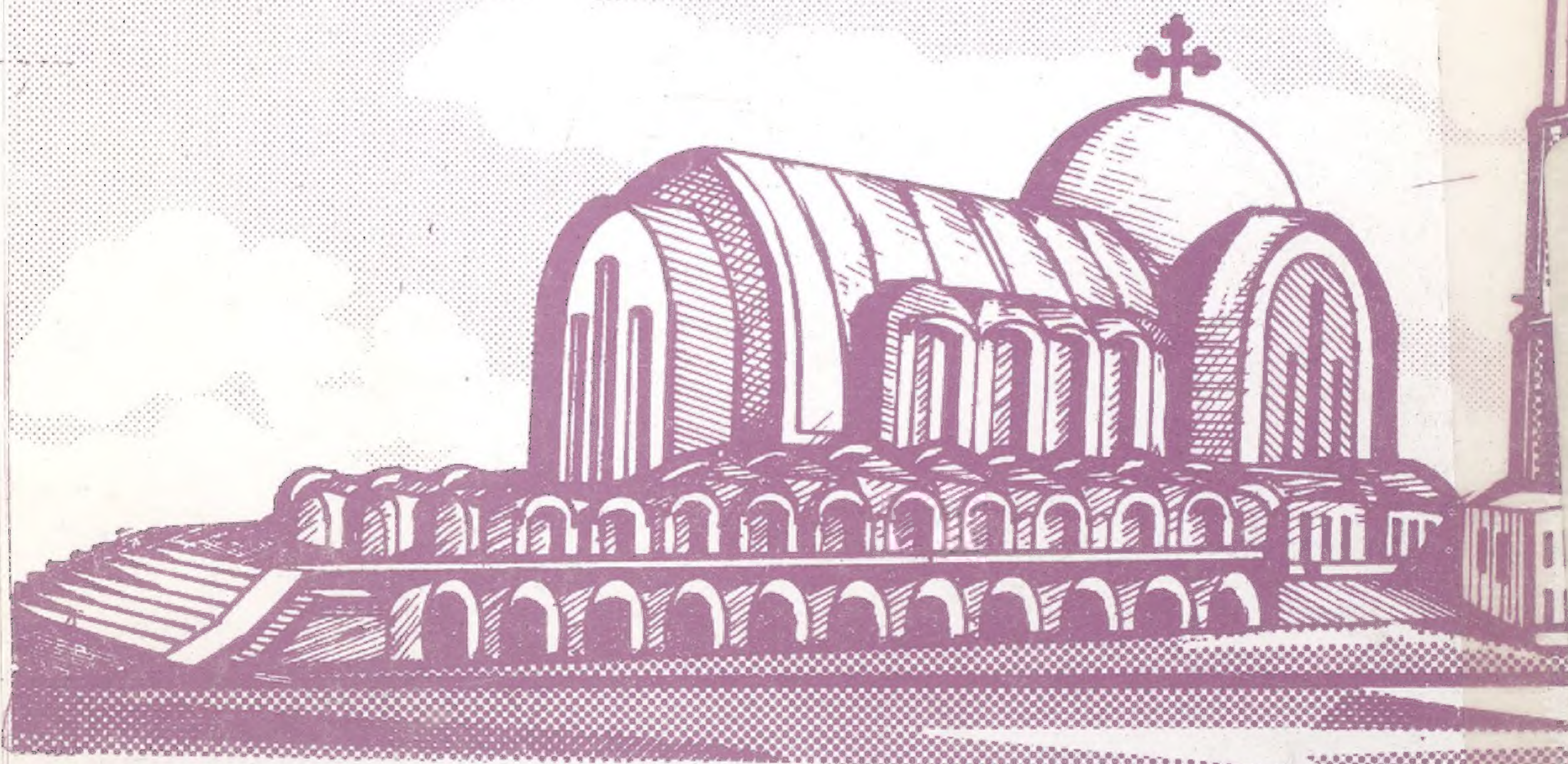


اللباب السنوية الثالثة



مزامير وقطع النور



الكتاب السنوي الثالث



Contemplations on The 12th Hour Prayer

By H.H. Pope Shenouda III

1st. Print

July 2001

Cairo

الطبعة الأولى

يوليو ٢٠٠١

القاهرة

الكتاب : تأملات فى مزامير وقطع النوم
المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث
الناشر : الكلية الإكليريكية بالكاتدرائية - القاهرة
الطبعة : الأولى يوليو ٢٠٠١
المطبعة : الأنبا رويس الأوفست - العباسية - القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٠١/٩٩٨٩
I.S.B.N. 977 - 5345 - 63 - 4



قداسة البابا شنودة الثالث

مقدمة الكتاب

وضعت لنا الكنيسة المقدسة "الصلوات السبع" لمنفعتنا جميعاً، لتكون صلة بيننا وبين الله طوال ساعات النهار. ولكننا نلاحظ عملياً أن غالبية المؤمنين يهتمون بالأكثر، بصلاة الغروب والنوم في آخر اليوم، وبصلاة باكر في أول النهار.

ولهذا كان أول ما أصدرته لكم في هذا المجال "تأملات في مزامير الغروب" ثم "تأملات في مزامير باكر" .. مع تأملات في مزامير منفردة مثل مزمور "يارب لماذا؟" من مزامير باكر. ومزمور "يستجيب لك الرب" من مزامير الساعة الثالثة.. وبقيت التأملات في صلاة النوم، على الرغم من الإعلان عنها. حقاً، لقد تأخر هذا الكتاب في الوصول إليك أيها القارئ العزيز ولكن نشكر الله إنه وصل أخيراً.

إنه يشمل تأملات في بعض مزامير النوم، وهي ..

١ - من الأعماق صرخت إليك يارب .

٢ - ها باركوا الرب يا عبيد الرب .

٣ - سبحى الرب يا اورشليم .

ثم بعد ذلك قطع صلاة النوم ومنها :

هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل ...

توبى يا نفسى ما دمت فى الأرض ساكنة ...

انهضى من رقاد الكسل ...

أيتها العذراء الطاهرة ...

نضع كل هذا بين يديك ، ونرجو الله أن يقبل صلواتك

وصلواتنا ...

البابا شنودة الثالث

مِن الْأَعْمَاقِ صَرَخَتْ إِلَيْكَ يَا رَبِّ

مذ ١٢٩ (١٣٠)

من الأعماق صرخت إليك يارب، يارب استمع إلى
صوتي، لتكن أذنك مصغيتين إلى صوت تضرعي.
إن كنت للآثام راصداً يارب، يارب من يثبت لأن
من عندك المغفرة.

من أجل اسمك صبرت لك يارب، صبرت نفسي
لناموسك.

انتظرت نفسي الرب أكثر من المراقبين الصبح .
أكثر من المراقبين الصبح فلينتظر إسرائيل الرب.
لأن الرحمة من عند الرب، وعظيم هو خلاصه.
وهو يفتدي إسرائيل من كل آثامه، هلوليا .

بمناسبة الصوم الكبير الذى هو فترة مقدسة تليق بالتوبة، نود أن نتأمل معاً فى هذا المزمور الذى هو أحد مزامير التوبة المعروفة.

يقول المرتل: من الأعماق صرخت إليك يارب، يارب استمع صوتى. لتكن أذنك مصغيتين إلى صوت تضرعى..".

مِنِ الأعماق :

هذا المزمور ليس صلاة عادية، بل صرخة خارجة من الأعماق إذ يقول "من الأعماق صرخت إليك يارب"..

فأى أعماق هى؟

من عمق القلب، من عمق الفكر، من عمق المشاعر والأحاسيس، صرخت إليك.

صرخت إليك، من عمق احتياجي إليك. من عمق ضعفى وتعبى.
من عمق السقوط الذى أنحدرت إليه، واحتاج فيه إلى مغفرتك.
من عمق الخطية صرخت إليك، ومن عمق التعاسة التى تجلبها
الخطية.

من عمق الشعور بالعجز والفشل الذى يجرنى أحياناً إلى الخوف
من الأعماق صرخت إليك يارب، يارب استمع صوتى.
من عمق المشاكل التى تحيط بى، ولا أجد لها حلاً إلا عندك.
من عمق المتاعب والتجارب، التى تأتى من الناس ومن الشيطان.
من عمق أخطار أشعر بها تقترب إلى.
من عمق خجلي من نفسى وأمامى ضعفاً وسقطاتى .
من عمق الهاوية التى أنا فيها. مثل يونان الهارب منك، الذى
صلّى قائلاً "دعوت من ضيقى الرب.. صرخت من جوف
الهاوية.." (يون ٢: ٢).

من عمق حزنى على نفسى، من عمق خوفى...
من كل هذه الأعماق صرخت إليك يارب، فاستمع صوتى.

✠ ✠ ✠

هناك أشخاص - وهم فى الأعماق - ومع ذلك لا يصلون ولا
يصرخون .

وآخرون يصلون ويصرخون، ولكن ليس من الأعماق .
أما أنا ففي الأعماق، أصرخ إليك من الأعماق .
أصرخ إليك لكي ترفعني منها. أنت "المقيم المسكين من التراب،
والرافع البائس من المزبلة.." (مز ١١٣ : ٧).
أنا من عمق ضعفي، صرخت إلى عمق قدرتك .
ومن عمق احتياجي ، صرخت إلى عمق حنانك ومحبتك .
ومن عمق سقوطي، صرخت إلى عمق مغفرتك .
ومن عمق مشاكلي، صرخت إلى عمق حكمتك التي تحل
المشاكل.

من عمق الهاوية ، صرخت إلى علو سمائك .



إنه مزمور إنسان شاعر بخطيته، ومعتزف بها، ويطلب المغفرة
أو هو مزمور إنسان في عمق ضعفه، يطلب المعونة .
مهما كان في أسوأ حالة، لكنه يصلي. وحقاً إن أعماق التعب
والمذلة، تساعد على الصلاة، بل تدعو إليها وتمنحها عمقاً.
إن أعمق صلاة نصليها، نرفعها وحن في أعمق التعب.
وقد يسمح الله لنا بالتعب أحياناً، لكي نصلي.
ننزل إلى الأعماق ، فترتفع صلواتنا .

وفى هذا المزمور ، يذكر المصلى اسم الرب ٨ مرات .
ويبدأ بعبارة "من الأعماق صرخت إليك يارب، يارب استمع
صوتى".

صَـرَـخْتَ إِلَيْكَ :

كثيراً ما يصلى الإنسان، ولكنه قليلاً ما يصرخ فى صلاته.
فالصراخ درجة أعمق، يدل على مقدار الحاجة، وجدية الصلاة
وهوذا أنا يارب أصرخ إليك، من أعماقى.
أصرخ إليك كطفل يلجأ صارخاً إلى أبيه، القادر على معونته.
وهكذا أنا أصرخ إليك، أيها الحنون، القادر على كل شيء.
إنها صرخة استغاثة، وصرخة إيمان ورجاء واحتياج.
صرخة قوية، تذكرنى بذلك الشاعر المصرى، الذى فى أحد
أزجاله شرح قوة صرخته فقال "مثل صرخة غريق بينده لقارب
نجاه. بينده بينده بينده، بكل قواه، للحياة..".
إنها صرخة، وليست مجرد نداء. صرخة تجذب حنان الرب
كقول المزمور:

"من أجل شقاء المساكين، وصراخ البائسين، الآن أقوم - يقول
الرب - أصنع الخلاص علانية" (مز ١٢ : ٥).

تذكرنا بقول الرب في مثل قاضى الظلم "افلا ينصف الله مختاريه، الصارخين إليه نهراً وليلاً" (لوقا ١٨ : ٧).

وتذكرنا بقول الرب "إني قد رأيت مذلة شعبي.. سمعت صراخهم.. فنزلت لأنقذهم" (خر ٣ : ٧). وقول الكتاب "صرخوا، فصعد صراخهم إلى الله بسبب العبودية" (خر ٢ : ٢٣). ما أعمق عبارة "فصعد صراخهم إلى الله".

إن المزامير تقدم لنا أمثلة من الصراخ والإستجابة، كقوله:
"بصوتى إلى الرب صرخت، فاستجاب لى من جبل قدسه"
(مز ٣ : ٤).

"فى ضيقتى صرخت إلى الرب، فاستجاب لى" (مز ٢٠ : ١).
"فى ضيقتى دعوت الرب، وإلى إلهى صرخت. فسمع من هيكله صوتى. وصراخى قدامه دخل أذنيه" (مز ١٨ : ٦).
وهكذا يصلى داود "صرخت من كل قلبى، فاستجب لى يارب"
(مز ١١٩ : ١٤٥). "أنصت يارب إلى كلماتى، واسمع صراخى.."
(مز ٥ : ١).

وقدّم لنا الكتاب مثلاً هو صراخ أهل نينوى فى توبتهم
ومذلتهم:

إذ نودى فى المدينة "ليتغطّ الناس والبهائم بالمسوح، ويصرخوا

إلى الله بشدة. ويرجعوا كل واحد عن طريقه الرديئة" (يون ٣: ٨).
وقد سمع الله صراخهم، واستجاب لهم ورحمهم.
من العجيب أن أول صراخ في الكتاب المقدس ذكر في قول
الرب لقاين:

"صوت دم أخيك صارخ إلىّ من الأرض" (تك ٤: ١٠).

❖ ❖ ❖

وفي هذا المزمور، يريد المرتل أن يصل صراخه إلى الله،
فيقول:

"من الأعماق صرخت إليك يارب، يارب استمع صوتي".

استمع صوتي :

طبعي أن الله يسمع كل ما في الكون، فما المقصود بكلمة
"استمع صوتي". ومثلها عبارة "اسمعنا" في لحن (افنوتي ناى نان)؟
المقصود ليس مجرد سماع الأذن، إنما الاهتمام والاستجابة.
مثلاً نقول إن فلاناً من الناس له "كلمة مسموعة" أى أنها تصل
إلى المسؤولين وإلى كل المهتمين بالأمر، وتحدث تأثيرها، ويكون
لها وزنها وتقديرها. وهكذا عندما يقول المصلي لله "اسمع صوتي".
أى اسمع بالاهتمام، بالقلب بالإرادة، بالاستجابة.

ومن أشهر الصلوات فى هذا المجال، صلاة سليمان يوم
تدشين الهيكل.

إذ قال للرب فى ذلك اليوم "لَتَكُنْ عَيْنَاكَ مَفْتُوحَتَيْنِ عَلَى هَذَا
الْبَيْتِ لَيْلاً وَنَهَاراً، لِتَسْمَعَ الصَّلَاةَ الَّتِي يُصَلِّيهَا عَبْدُكَ فِي هَذَا
الْمَوْضِعِ. وَاسْمَعْ تَضَرُّعَ عَبْدِكَ" (١مل ٨: ٢٩، ٣٠).

وظل يستعرض حالات الشعب المحتاجة إلى معونة من الرب
واستجابة. ويكرر فى كل مرة عبارة "واسمع أنت فى موضع
سكنائك فى السماء" وفى إحدى المرات يقول "وإذا سمعت فاغفر".
وفى مرة أخرى يقول "اسمع.. واعمل واعطِ كل إنسان حسب
طرقه كما تعرف قلبه". وفى مرة أخرى يقول "اسمع صلاتهم
وتضرعهم واقض قضاءهم" (١مل ٨: ٣٩، ٤٩).



"اسمع صوتى" تذكرنا بقول المصلّى فى المزمور الكبير "فَلْتَدُنْ
وَسِيلَتِي قَدَامَكَ.. وَلْتَدْخُلْ طَلِبَتِي إِلَى حَضْرَتِكَ" (مز ١١٩: ١٦٩).

وهكذا يقول فى مزمور آخر "أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهَ الْجُنُودِ اسْمَعْ
صَلَاتِي. أَصْغِ يَا إِلَهَ يَعْقُوبَ.. التَفَتْ إِلَى وَجْهِ مَسِيحِكَ" (مز ٨٤: ٨).

إنه يطلب السمع والإصغاء والاهتمام، بل والاستجابة، كما يقول:
"إصغِ يَا رَبُّ إِلَى صَلَاتِي، انصتْ إِلَى صَوْتِ تَضَرُّعِي.. اسْتَجِبْ

لى" (مز ٨٦ : ٦ ، ٧).



يقول "اسمع صوتى" ذلك لأن هناك صلوات لا تُسمع، أى لا يلتفت الرب إليها، ولا يقبلها. إنها صلوات مرفوضة.

مثال ذلك قول الرب لليهود أيام اشعيا النبى، حينما كانوا يحفظون الفرائض ويصلون من شفاههم لا من قلوبهم، وهم بعيدون عن الله بخطاياهم. فقال لهم الرب "حين تبسطون أيديكم، أستر وجهى عنكم. وإن أكثرتم الصلاة، لا أسمع. أيديكم ملأنة دماً..". (أش ١ : ١٥).



فهل يمكن أن يسد الله أذنيه، ويصد مثل هذا المصلى؟

نعم، هناك صلوات غير مقبولة، مثل صلاة الفريسي فى مثل الفريسي والعشار (لو ١٨ : ١١ ، ١٢). أو صلوات "المرائين فى المجامع وفى زوايا الشوارع لكى يظهروا للناس" (مت ٦ : ٥). أو كالكتبة والفريسيين المرائين الذين "لعله يطيلون صلواتهم" بينما هم يأكلون بيوت الأراامل" (مت ٢٣ : ١٤).

كلها صلوات لا يسمعها الله، أى لا تستحق أن يسمعها الله.



فأنا أصرخ إليك يارب، لكى تسمع صلاتى، لكى تدخل صلاتى

إلى حضرتك، لكي تقبلها إليك، على الرغم من خطايي وعدم استحقاقي، وعلى الرغم من شعوري بعدم وجود دالة حالياً بيني وبينك؟!!

كل ما أريده أن تصل صلاتي إليك. وأترك الباقي إلى محبتك، أنت الذي لا تعاملني بحسب خطايي، وإنما بحسب رحمتك.

إننا نعرف أن احتياجاتنا تصل إليك، حتى لو لم نصل!

كما قلت من قبل "قد رأيت مذلة شعبي. سمعت صراخهم بسبب مسخريهم.. علمت أوجاعهم.. فنزلت لأنقذهم" (خر ٣: ٧).

فعلت ذلك على الرغم من أنهم لم يصلوا وقتذاك.

✠ ✠ ✠

كذلك قد يستمع الرب إلى دموعنا دون أن نصلي .

كما يقول المزمور "أنصت إلى دموعي"

الدموع لها صوت يسمعه الله، حتى ولو بدون صلاة. ولكن لها استجابة من قلب الله الحنون. أو حتى لو كان الإنسان يصلّي في قلبه، وصوته لا يسمع، كما كانت تفعل حنة طالبة من الله نسلًا، دون أن ترفع صوتها" (اصم ١: ١٣).

"استمع يارب صوتي". أشعرنى أنك استلمت صلاتي، وعرفتّها. ودخل صراخي إلى أذنيك، ويكفيني هذا.

أصلي أن صلواتي تُسمع. وسأستمر في الصلاة حتى أتأكد من هذا. وانتقاً أنك مادمتم قد سمعت الصلاة، فسوف تتصرف.
يقول المرتل بعد ذلك: إن كنت للآثام راصداً يارب، يارب من يثبت، لأن من عندك المغفرة.

إن كنت للآثام راصداً ..

طبيعي أن الله يعرف كل خطية نرتكبها، سواء بالقول، أو بالفعل، أو بالفكر، أو بجميع الحواس. كما قال القديس يوحنا في رؤياه: "وانفتحت أسفار.. ودين الأموات مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم" (رؤ ٢٠: ١٢). وكما قال القديس بولس الرسول "لأنه لا بد أننا جميعاً نُظهر أمام كرسي المسيح، لينال كل واحد منا ما كان بالجسد، بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً" (٢كو ٥: ١٠).

فما معنى "إن كنت للآثام راصداً"، بينما الكل مسجل ومرصود؟ إن الله كلي المعرفة، ولا يخفى عليه شيء. إذن فهو يعرف ويرصد. وهو الذي وضع الضمير في الإنسان الذي يرصد أعماله، وبالأولى الله. وهو أيضاً القدوس الذي لا يقبل الخطية، والعادل الذي لا يتساوى أمامه الطيب والخبيث.

إذن ما المقصود بقول المرتل: إن كنت للآثام راصداً يارب..
أى إن كنت ترصد الآثام لتعاقب عليها. تخزنها لتديننا بها.
إن كنت كذلك، فمن يثبت!؟ كلنا خطاة. كلنا فى الموازين إلى
فوق. إن حاسبتنا، فسوف يستد كل فم. وكما يقول المرتل للرب فى
مزمور آخر: "لا تدخل فى المحاكمة مع عبدك. فإنه لا يقتركى
قدامك أى حى" (مز ١٤٣ : ٢).

أنت لا ترصد الخطايا، بل تمحوها بالمغفرة .
إنه كالطبيب يرصد الأمراض لكى يعالجها، وليس لكى يوبخ
المريض عليها. كل علل المريض واضحة أمامه، ولكن لكى
يخلصه منها. وهكذا أنت أيضاً قلت "لم آت لأدين، بل لأخلص". "إن
ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس، بل ليخلص" (لو ٩ : ٥٦).
"وجاء يطلب ويخلص ما قد هلك" (لو ١٩ : ١٠).
وكيف ذلك؟ ... بالمغفرة .

لأن من عندك المغفرة :

طول أناته، تقود إلى التوبة (رو ٢ : ٤). وبالتوبة المغفرة .
ويتغنى المرتل بهذه المغفرة، فيقول "طوبى للذى غفر إثمه
وسترت خطيته. طوبى لإنسان لا يحسب له الرب خطية" (مز ٣٢ :
١، ٢). هذه الخطايا التى لا تحسب، يقول عنها الرب فى سفر ارميا

النبي "لأنى أصفح عن إثمهم، ولا أذكر خطيئتهم بعد" (أر ٣١ : ٣٤).
لا يحسب لنا خطايانا، فى التوبة من جهتنا. وأيضاً فى
المصالحة التى تمت على الصليب، كما قال القديس بولس الرسول
"إن الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسب لهم
خطاياهم" (٢كو ٥ : ١٦).

الله إذن - فى المصالحة - لا يرصد الخطايا، بل يمحوها.
"إذ محا الصك الذى علينا.. مسمراً إياه على الصليب (كو ٢ :
١٤). وقال الرب "أنا أنا هو الماحى ذنوبك.. وخطاياك لا أذكرها"
(أش ٤٣ : ٢٥). وأيضاً "قد محوت كغيم ذنوبك، وكسحابة خطاياك"
(أش ٤٤ : ٢٢).

كل ذلك بشرط التوبة .

مِنْ أَجْلِ اسْمِكَ

صبرت لك يارب :

أنا من أجل اسمك، صبرت إلى أن يأتى خلاصك. صبرت إلى
أن تأتىنى معونتك، وإلى أن أذل مغفرتك.

فما هو اسمك الذى صبرت له؟

اسمك كمخلص. وعنك قال الملاك المبشر بميلادك: "وتدعو

اسمه يسوع، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم" (مت ١ : ٢١). فكلما
يسوع معناها مخلص.

وأيضاً صبرت من أجل اسمك (عمانوئيل) "الذى تفسيره الله
معنا" (مت ١ : ٢٣). فمادمت معنا، إذن سأصبر لعملك فينا، وعملك
من أجلنا.

من أجل اسمك الحنون الشفوق الغفور، الذى لم يصنع معنا
حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا" (مز ١٠٣ : ١٠)... الذى
قيل عنه "الرب رحيم ورؤوف، طويل الروح، كثير الرحمة. لا
يُحاكم إلى الأبد، ولا يحقد إلى الدهر" (مز ١٠٣ : ٨، ٩).

من أجل اسمك هذا، صبرت وأنا مملوء بالرجاء .
صبرت وأنا واثق أنك ستعمل فى التوبة والمغفرة.
وستعمل فى لى أنفذ وصاياك وناموسك.

صبرت نفسى لناموسك :

انتظرت نفسى لناموسك .

انتظرت حتى يمكننى أن أنفذ ناموسك فى. صبرت حتى تأتىنى
المعونة التى أنفذ بها كل كلامك .

انتظرت نفسى الرب من محرس الصبح.

أو في ترجمة أخرى "أكثر من المراقبين الصبح". أى الذين فى
الظلمة وينتظرون الصبح متى يجرى. فهم يراقبون مجيئه.
وهنا أراقب مجيئ صبحك متى يأتى ليبدد ظلمتى.

✠ ✠ ✠

ثم يتحول من صلاته لأجل نفسه إلى الصلاة لأجل الشعب كله
فيقول:

أكثر من المراقبين الصبح فلينتظر إسرائيل الرب .
وكلمة (إسرائيل) هنا لها معنى رمزى. أى الشعب كله فلينتظر
الرب من الليل حتى الصبح.

✠ ✠ ✠

"لأن الرحمة من عند الرب، وعظيم هو خلاصه (فداؤه). وهو
يفدى إسرائيل من كل آثامه".

هنا الذى يصرخ من الأعماق، الذى ينتظر من الظلمة مراقباً
الصبح متى يجرى، إنما ينتظر خلاص الرب الذى سيأتى بالفداء.
وهو خلاص ينتظره كل الشعب. وعنه عبّر سمعان الشيخ بقوله
"الآن يارب تطلق عبدك بسلام، لأن عينى قد أبصرتا خلاصك الذى
أعدته قدام وجه جميع الشعوب" (لو ٢: ٢٩، ٣٠).

والمصلى واثق أن الرب سيفدى الشعب من كل آثامه.

تفسير مزبور

هَكَذَا بَارَكُوا الرَّبَّ

مز ۱۳۳ (۱۳۴)

هَـا بَارِكُوا الرَّبَّ ..

هَـا بَارِكُوا الرَّبَّ يَا عِبِيدَ الرَّبِّ ،
القَائِمِينَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ ، فِي دِيَارِ إِلَهِنَا .
فِي اللَّيَالِي أَرْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ إِلَيْهَا الْقَدِيسُونَ ، وَبَارِكُوا
الرَّبَّ .
يُبَارِكُكُمُ الرَّبُّ مِنْ صِهْيُونَ ، الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ .

هَلِّلُوكَا

هذا المزمور القصير ، السهل الحفظ، هو من المزامير المشهورة فى صلواتنا اليومية ، فى الأجيبة . إنه مكرر فى صلاة النوم، وصلاة الستار ، ومقدمة صلاة نصف الليل ، وفى الهجعة الثالثة منها .

فما سر العمق الذى فيه؟ الذى من أجله وضع فى كل تلك الصلوات ؟

لكى نجيب على هذا السؤال، فلنتناول فقرات المزمور واحدة واحدة ونأملها :

ها باركوا الرب

مباركة الله لنا ، هى مباركة الكبير للصغير (عب ٧: ٧) .
أما مباركتنا للرب ، فتعنى تسبيحه ، أو الاعتراف ببركته،
وشكره عليها .

وهكذا يقول داود في المزمور "باركى يا نفسى الرب، ولا تنسى كل حسناته" (مز ١٠٣ : ١ ، ٢). ويعنى هنا الاعتراف ببركاته وحسناته، وذكرها باستمرار، ومن أعماق القلب "باركى يا نفسى الرب، وكل ما فى باطنى فليبارك اسمه القدوس" .. وبعد ذلك يذكر المرتل بالتفصيل إحسانات الله إليه .

وهكذا فعل زكريا الكاهن أبو يوحنا المعمدان، لما فك الله عقدة لسانه: انفتح فمه وبارك الله (لو ١ : ٦٤). وهكذا فعل سمعان الشيخ، لما رأى الطفل يسوع ، فشكر الله على خلاصه ، إذ "حمل الطفل على ذراعيه، وبارك الله" (لو ٢ : ٢٨) .

✠ ✠ ✠

ومباركتنا لله تعنى تمجيده أيضاً .

وهكذا نقول فى تسبحة البصخة باستمرار "لك القوة والمجد والبركة" .

ويقول القديس يعقوب الرسول عن اللسان "به نبارك الله الأب، وبه نلعن الناس الذين خلقوا على شبه الله" (يع ٣ : ٩). وهنا عبارة نبارك الله تعنى نمجده أو نسبحه ...

وبالمثل حينما قال أيوب الصديق فى تجربته "الرب أعطى، الرب أخذ. ليكن اسم الرب مباركاً (أى ممجداً)" (أى ١ : ٢١) .
ويقول المرتل للرب فى المزمور "طوبى لكل السكان فى بيتك ،

يباركونك إلى الأبد" (مز ٨٤ : ٤) أى يمجدونك ويسبحونك .



وهنا نرى داود فى هذا المزمور يدعو الناس إلى مباركة الله .
أى إلى تسبيحه وتمجيده، فيقول "ها باركوا الرب يا عبيد الرب".
وهو فى المزمور (١٠٣) لا يقتصر فقط على دعوة البشر بل أنه
يقول "باركوا الله يا ملائكته المقتدرين قوة ، الفاعلين أمره عند
سماع صوت كلامه. باركوا الرب يا جميع جنوده، خدامه العاملين
مرضاته. باركوا الرب يا جميع أعماله فى كل مواضع سلطانه.
باركى يا نفسى الرب" (مز ١٠٣ : ٢٠ - ٢٢) .

ونرى هنا أن الذين يباركون الرب أى يمجّدونه ، هم الفاعلون
أمره، العاملون مرضاته .

هم الذين يمجّدونه بالطاعة، ويسبحونه بعمل مشيئته. وهم الذين
ينطبق عليهم قول الرب فى العظة على الجبل "فليضع نوركم هكذا
قدام الناس، لكى يروا أعمالكم الحسنة، ويمجدوا أباكم الذى فى
السموات" (مت ٥ : ١٦). فعملنا الخير، يجعل اسم الرب مباركاً من
الناس .



إننا نبارك الرب بأساليب روحية متعددة ومتنوعة .

نباركه فى صلواتنا بكلام التسبيح والتمجيد. ونباركه بقبول

مشيئته وعدم التذمر أياً كان الأمر، كما ترك أيوب الصديق لنا مثلاً. ونباركه أيضاً بالخشوع والوقار، في بيت الله، وفي وقت الصلاة. ونباركه حينما لا ننطق باسم الرب باطلاً (تث ٥: ١١). ونباركه حينما تكون حياتنا قدوة للناس، وحينما ندعو الناس إلى محبته وحفظ وصاياه.

على أن المرتل يقدم لنا دافعين أساسيين للمباركة فيقول :
"يا عبيد الرب" "القائمين في بيت الرب" .

يا عبيد الرب

عبيده هم خدامه العاملين مرضاته ، الذين ليسوا عبيداً لغيره ،
أياً كان هذا الغير، شخصاً كان أو شيئاً . كما قال الرب عن المال
"لا يقدر أحد أن يخدم سيدين. لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب
الآخر، أو يلزم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدروا أن تخدموا الله
والمال" (مت ٦: ٢٤) .. وعبيد الرب، هم الذين لا يصنعون لهم
على الأرض تمثالاً منحوتاً .. وهنا أحب أن أقول :
إن بنوتنا لله، لا تمنع كوننا عبيداً له .



هوذا الرب يقول للإنسان البار في اليوم الأخير "نعماً أيها العبد
الصالح والأمين. كنت أميناً في القليل ، فأقيمك على الكثير. ادخل

إلى فرح سيدك" (مت ٢٤ : ٢١ ، ٢٣) .. قال هذا لصاحب الخمس
الوزنات، كما قاله لصاحب الوزنتين أيضاً .

بل حتى الرعاية أيضاً دعاهم عبيداً ، مثل رعيته .

فقال يا ترى من هو الوكيل الأمين، الحكيم الذى يقيمه سيده
على عبيده ليعطيهم طعامهم فى حينه . طوبى لذلك العبد الذى إذا
جاء سيده يجده يفعل هكذا . الحق أقول لكم إنه يقيمه على جميع
أمواله" (لو ١٢ : ٤٢ - ٤٤) . هذا الوكيل الأمين الحكيم المقام على
الكل، هو عبد أيضاً ...

ما أجمل أن نقرأ فى رسائل بولس الرسول ، الذى صعد إلى
السماء الثالثة، والذى تعب أكثر من جميع الرسل (٢كو ١٢) إنه يبدأ
بعضاً من رسائله بقوله "بولس عبد ليسوع المسيح" (رؤ ١ : ١) .
"بولس وتيموثاوس عبداً ليسوع المسيح" (فى ١ : ١) . "بولس عبد
الله ورسول يسوع المسيح" (تى ١ : ١) ..
فلا نجعل بنوتنا لله تجعل قلوبنا ترتفع .



إنما عبارة "عبد" تقودنا إلى الإلتضاع والتخضع .

وتقودنا أيضاً إلى الطاعة، بل كما قال الرب "مهما فعلتم كل ما
أمرتم به، فقولوا إننا عبيد بطلون.." (لو ١٧ : ١٠) .

وما أجمل ما قاله القديس أوغسطينوس فى إحدى صلواته من

أجل شعبه.. قال "اطلب إليك يارب من أجل سادتي، عبيدك". فإن
كنا خداماً لأفراد الرعية، فكم بالأكثر نكون من أجل إلهها وإلهنا ..
ها باركوا الرب يا عبيد الرب ، القائمين في بيت الرب :

القائمين في بيت الرب

نقول هذه العبارة على نوعين من الناس :
إما خدام بيت الرب، أو أى أتاس يصلون في بيته .
ها باركوا الرب يا عبيد الرب، خدامه، رجال الإكليروس
عموماً، القائمين في بيت الرب باستمرار... أو عن الرهبان
الساكنين في بيت الرب في ديار إلهنا، الذين يقول عنهم المرتل في
المزمور "طوبى لكل السكان في بيتك، يباركونك إلى الأبد"
(مز ٨٤)، إذ ليس لهم عمل آخر سوى تسبيح الرب، يباركونه الآن
وإلى الأبد .

أو تقال على المصلين في الكنيسة ، أو في ديار الرب ، لا
ينشغلون بشئ آخر غير التسبيح .

فيقول لهؤلاء : حينما تدخلون بيت الرب، لا يكن لكم عمل آخر
سوى هذا: ها باركوا الرب.. لأنه إن كنا لا نبارك الله في بيته،
فلماذا دخلنا بيته إذن؟!

على أن كل مكان مقدسه بصلواتنا، يمكن أن يعتبر بيتاً للرب.
إنه "الكنيسة التي في بيتك" (رو ١٦ : ٥) .. ما أجمل أن الشهاداء
حينما كانوا يصلون ويسبحون الرب في السجون، حولوها بذلك إلى
بيوت للرب، ولو إلى حين .. بل إن كل مكان نصلى فيه صلاة
الشكر نقول عنه للرب " .. وهذا الموضع المقدس الذى لك " .



إن المؤمن الحقيقى يحول كل مكان إلى بيت الرب .
ويصلى ويقول "لرب الأرض وملؤها. المسكونة وجميع
الساكين فيها" (مز ٢٣ : ١) ... أليس آباؤنا الرهبان والسواح
والمتوحدون قد حولوا كل البرارى التى عاشوا فيها إلى بيت للرب،
بتسابيحهم وصلواتهم المرفوعة إليه... بل إن المؤمن المحب لله قد
يقول له : كل بيت ليس لك، لا أستطيع يارب أن أدخله، إلا لى
أدخل إسمك فيه، أو أحوله إليك بطريقة ما ...
المرتل يدعو القائمين فى ديار إلها إلى أن يباركوه (يسبحوه).
ولكن كيف؟ ومتى؟ إنه يقول "فى الليالى ارفعوا أيديكم أيها
القديسون، وباركوا الرب" .

فى الليالى

الليل الهادئ الساكن، الخالى من ضوضاء النهار، ومن مشاغله

ولقاءاته، تحلو فيه الصلاة .. وما أصدق ذلك الأب الروحي الذى قال "إن الليل مفروز لعمل الصلاة" .. وقال أيضاً "إن صلاة واحدة تصليها بالليل، أفضل من مائة صلاة تصليها بالنهار" ..

يقصد الصلاة التى تصليها فى ذلك السكون ، وتتميز لذلك بجمع الفكر ، وجمع الحواس، وعدم التشقت، وعدم الإنشغال ...

ولذلك ما أجمل ما قيل عن السيد المسيح إنه "كان فى النهار يعلم فى الهيكل، وفى الليل يخرج ويبيت فى الجبل الذى يدعى جبل الزيتون" (لوقا ٢١ : ٣٧) . وكان جبل الزيتون مكاناً للصلاة والتأمل. أو قيل عن الرب أيضاً إنه : "خرج إلى الجبل ليصلى، وقضى الليل كله فى الصلاة" (لوقا ٦ : ١٢) .

وهنا نركز على ربط الليل بالصلاة، وبالجبل .. ومما يذكر عن الليل أيضاً أنه "أتى إلى تلاميذه فى الهزيع الرابع من الليل" (متى ١٤ : ٢٥) . وقيل عن مجئ المسيح الثانى "وفى منتصف الليل صار صراخ: هوذا العريس قد أقبل.." (متى ٢٥ : ٦) .



ومسألة الليل ، تذكرنا بفضيلة السهر ...

السهر لاستقباله .. كما قيل "اسهروا لأنكم لا تعلمون متى يأتى رب البيت أمساء، أم نصف الليل، أم صياح الديك، أم صباحاً .. لنلا

يأتى بغتة فيجدكم نياماً" (مر ١٣ : ٣٦) وقال أيضاً "طوبى لأولئك العبيد، الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين" (لو ١٢ : ٣٧) .

وما أكثر القصص التى وردت فى سير القديسين عن سهرهم الليل كله فى الصلاة، مثلما كان يفعل القديس أرسانيوس الكبير . وما أجمل ما قيل عن الرعاة فى قصة الميلاد إنهم كانوا "يحرصون حراسات الليل" (لو ٢ : ٨) .



والليل له تأملاته وصلواته الكثيرة فى مزامير داود :
إنه يقول "ذكرت فى الليل إسمك يارب" (مز ١١٩ : ٥٥) .. وفى نصف الليل نهضت لأشكرك على أحكام عدلك" (مز ١١٩ : ٦٢) ..
"بالليل بسطت يدي" (مز ٧٧ : ٢) . "أعوّم فى كل ليلة سريري، وبدموعي أبل فراشي" (مز ٦ : ٦) . فكان الليل إذن للصلاة وللشكر والبكاء على الخطايا، كما يقول أيضاً "فى العشاء يحل البكاء، وفى الصباح السرور" (مز ٢٩) .



"وما أصلح الليل للتأمل ، ولمحاسبة النفس أيضاً " .
كما تقول عذراء النشيد "فى الليل على فراشي، طلبت من تحبه نفسي" (نش ٣ : ١) .. حتماً أن الله نفسه يطلبنا فى هذا الوقت الهادئ . وإن لم نفتح له قلوبنا ، يعاتبنا بقوله "لأن رأسى قد أمتلأ

من الطل، وقصصى من ندى الليل" (نش ٥ : ٢) .

حقاً إن الذى يكسب صداقة الليل، لا يتعب من شغب النهار .
وأقصد أن الذى يقضى الليل فى الصلاة والقراءة والتأمل، وفى
مناجاة الله، وفى البكاء على خطاياہ.. هذا يكتز له رصيذاً من
الروحيات، تصد عنه هجمات العدو فى حروب النهار وعثراته ...



الليل أيضاً حافل بقصص الرؤى والأحلام التى من الله .
يقول اليهو البار فى قصة أيوب الصديق "لكن الله يتكلم .. فى
حلم، فى رؤيا الليل، عند سقوط سبات على الناس، فى النعاس على
المضجع. حينئذ يكشف آذان الناس.." (أى ٣٣ : ١٤ - ١٦) ..
وما أكثر الأحلام المقدسة التى أرشد فيها الرب أبراره ليلاً.
مثلما ظهر ملاك الرب فى حلم ليوسف النجار، وبشره بميلاد
المسيح (مت ١ : ٢٠ - ٢٤). وفى حلم آخر كلمه أن يذهب إلى
مصر، وفى حلم آخر أمره أن يرجع منها (مت ٢ : ١٣ ، ١٩) . كما
ظهر فى حلم للمجوس وأرشدهم (مت ٢ : ١٢) .
الملاك الذى أنقذ بطرس من السجن، جاءه ليلاً (أع ١٢ : ٦).
وكذلك فى نصف الليل كان انقاذ بولس وسيلا (أع ١٦ : ٢٥ ، ٢٦).
وفى الليل أيضاً كان قول الرب لبولس "كما شهدت بما لى فى
أورشليم، ينبغى أن تشهد فى رومية أيضاً" (أع ٢٣ : ١١) .

يقول المرتل "فى الليالى ارفعوا أيديكم أيها القديسون، وباركوا الرب". وهنا نقف عند عبارة "ارفعوا أيديكم".

إرفعوا أيديكم

رفع اليدين هو اتجاه نحو السماء كرسى الله .

يقول داود النبى "باسمك ارفع يدي، فتشبع نفسى كما من شحم ودسم" (مز ٦٣ : ٤). ويقول أيضاً "فلتستقم صلاتى كالبخور قدامك. وليكن رفع يدي ذبيحة مسائية" (مز ١٤١ : ٢). ويقول أيضاً "بسطت إليك يدي. صارت نفسى نحوك مثل أرض بلا ماء" (مز ١٤٣ : ٦). وأيضاً "دعوتك يارب كل يوم بسطت إليك يدي" (مز ٨٨ : ٩).



إن رفع اليدين هو اشتراك للجسد مع الروح فى الصلاة . هو لون من خشوع الجسد ، وارتفاعه إلى الله ، مع الروح ... ليست الروح فقط هى التى تصلى، إنما الإنسان كله روحاً وعقلاً وجسداً. الجسد يرفع يديه إلى فوق ، ويرفع نظره إلى فوق، وتتحنى هامته إلى أسفل ، وتركع قدماه ويسجد .

موسى كان يرفع يديه ، فينتصر الجيش على عماليق (خر ١٧ : ١١) . وإذا انخفضت يداه، كان الجيش ينهزم. فثبتوا يديه

مرفوعتين إلى غروب الشمس ، فهزم يشوع عماليق (خر ١٧ : ١٢ ،
١٣) . إن بسط اليدين كذلك ، علامة للصليب .

"ارفعوا أيديكم أيها القديسون وباركوا الرب"

إن المرتل يكلم المصلين القديسين الذين يرفعون أيديهم في
الصلاة إلى فوق، ساهرين الليل في الصلاة يسبحون الله. ويقول
لهم إن الله سيمنحكم بركته.

يَبَارِكُكُمُ الرَّبُّ

"يبارككم الرب من صهيون الذى خلق السماء والأرض".

هنا الاستجابة للصلاة : منح البركة لكم من الله .

"من صهيون" أى من جبله المقدس ، من موضع قدسه، من
مكان الذبيحة والمذبح ورائحة البخور .

"يبارككم الرب الذى صنع السماء والأرض" (الذى صنع السماء
التي ترفعون أيديكم نحوها، وصنع الأرض التي تقفون عليها ...
الله الخالق ، القادر على كل شئ ، مصدر كل بركة يبارككم بكل
بركة روحية ...

(والبركة) موضوع طويل ، لعلنا نلتقى به في مناسبة أخرى .

سَبِّحِ الرَّبَّ يَا أُورُشَلِيمَ

مز ۱۴۷

سبحى الرب يا اورشليم، سبحى إلهك يا صهيون،
لأنه قد قوى مغاليق أبوابك، وبارك بنيك فيك.
الذى جعل تخومك فى سلام، ويشبعك من شحم
الحنطة.

الذى يرسل كلمته إلى الأرض، فيسرع قوله عاجلاً
جداً.

المعطى الثلج كالصوف، المذرى الضباب كالرماد،
ويلقى الجليد مثل الفتات، قدام وجه برده من يقوم؟
يرسل كلمته فتذيبه، تهب ريحه فتسيل المياه.
المخبر كلمته ليعقوب، وفرائضه وأحكامه لإسرائيل،
لم يصنع هكذا بكل الأمم، وأحكامه لم يوضحها لهم.
هللوا ...

نقدم المزمور ١٤٧ وهو آخر مزمور في صلاة النوم .
سبحى الرب يا أورشليم ، سبحى إلهك يا صهيون .
أورشليم هي صهيون. يطلب منها المرتل أن تسبح الرب إلهها.
أما المعنى الحرفي كما يقول القديس أوغسطينوس فهو أن هذا
المزمور وسابقة، عبارة عن تسبحة للرجوع من سبى بابل .
أما من الناحية الرمزية فتشير أورشليم إلى الكنيسة حيث يوجه
المصلى تأملاته إليها أثناء المزمور.
ومن الناحية الروحية الخاصة، يمكن أن تشير أورشليم إلى قلب
الإنسان أو نفسه التي هي عروس المسيح .
ولكن لماذا يطلب المرتل من أورشليم أن تسبح الله؟ ما هي
مناسبة التسبيح؟



لأنه قوى مغاليق أبوابك وبارك بنيك فيك. الذى جعل تخومك
فى سلام ويملاك من شحم الحنطة .

يمكن أن يُقال هذا كصلاة شكر كلما يشعر الإنسان بحفظ الله
للكنيسة ورعايته لها. فأورشليم تسبح الرب لأنه جعل تخومها فى
سلام. لا يستطيع العدو أن يقتحم أبوابها، لأن الرب قوى مغاليق
أبوابها" . ولا يستطيع العدو أن يسبى أبناءها، لأن الرب "بارك بنيتها
فيها" .

أما إذا أخذ هذا الكلام على أن أورشليم حيث هى قلب المصلى
أو نفسه، فإنه يسبح الله شاكراً لأنه حفظه من الخطية، إذ قوى
مغاليق أبوابه. وأبواب النفس هى الحواس: السمع، البصر، اللمس..
إلخ. هذه قد قوى الله مغاليقها، فأصبحت لا تدخل إلى القلب أية
فكرة شريرة، أو أى إحساس ردى. وأبواب النفس هى أيضاً
الشهوات والرغبات والأفكار. وهذه قوى الله مغاليقها . فلو حاول
العدو أن يدخل منها إلى النفس ليفسدها بأباطيل العالم، يجدها مغلقة
فى وجهه .



هذا كله من الناحية السلبية . أما من الناحية الإيجابية ، فيقول
"وبارك بنيك فيك" . هؤلاء البنون الذين تلهمهم النفس من عمل

الروح القدس فيها هم الفضائل . وعندما يبارك الله هؤلاء البنين إنما يعنى أنه يكثر ثمار الروح القدس فى النفس، على أن هؤلاء قد باركهم الله فيها، أى فى داخل النفس، وليس خارجاً كما يفعل المراءون.



ونتيجة لكل هذا صارت تخوم النفس فى سلام ، أى لم يعد الجسد يشتكى ضد الروح، ولا الروح ضد الجسد، بل تصالح الإثنين فعاش الإنسان فى سلام: فلا صراع داخلى يضنيه فى مقاتلة الشهوات . أصبح فى سلام من جهة حربه ضد الشيطان والجسد والعالم .. إلخ .

"ويملاك من شحم الحنطة". أى من الخير، من نعمه وإحساناته. ولكن كيف تم هذا النصر وهذا العمل المجيد ، سواء للقلب أو للكنيسة؟ يجيب المرتل بقوله :



الذى يرسل كلمته إلى الأرض، فيسرع قوله عاجلاً جداً . يقول القديس أوغسطينوس كلمة الله هو المسيح، وقد أرسله إلى الأرض فأسرع قوله عاجلاً جداً ، لأنه فى فترة قصيرة من الزمان كانت الكرازة قد وصلت إلى أقاصى الأرض.

ولم يمر نصف قرن على إرسال السيد المسيح لتلاميذه حاملين

قوله، حتى أسرع قوله عاجلاً جداً، فدخل قلوب المؤمنين بسهولة..
بعضة واحدة من بطرس آمن أكثر من ثلاثة آلاف (أع ٢: ٤١).
وبعد معجزة شفاء المُقعد عند باب الجميل كثر العدد جداً. ثم نسمع
أنه "كان مؤمنون ينضمون للرب أكثر، جماهير من رجال ونساء"
(أع ٥: ١٤). "وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان" (أع ٦: ٧).
وهكذا أسرع قوله عاجلاً جداً حتى ملأ الأرض . فكان المرتل
يقول للكنيسة: هذا الذى بارك بنيك فيك، هو الذى أرسل كلمته إلى
الأرض فأسرع قوله عاجلاً جداً .. فباركبه وسبحه على حاضره
وماضيه معك ...



على أننا يمكن أن نأخذ هذا أيضاً على النفس البشرية .
لأن السيد المسيح شبه الإنسان الصالح بالأرض الجيدة التى
أخرجت ثماراً ثلاثين وستين ومائة (مت ١٣: ٢٣). فالإنسان المشبه
بالأرض الجيدة ، يسبح الله فى هذا المزمور على هذا الثمر الكثير،
لأن الله أرسل كلمته إلى الأرض فأسرع قوله عاجلاً جداً.
يمكن أن تذكر هذه الآية من المزمور كلما قرأت أو سمعت
كلام الله فترك فى نفسك أثراً قوياً سريعاً .. حينئذ تقف أمام الله
وتقول "سبحى الرب يا اورشليم .. الذى بارك بنيك فيك .. الذى
يرسل كلمته إلى الأرض فيسرع قوله عاجلاً جداً" .

هذا هو "شحم الحنطة" الذى قصده فى الآية السابقة . لأنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله" (مت ٤ : ٤) . هذا الكلام الذى يرسله الله إلى الأرض يكون كالشحم ، بل إن داود يقول "وباسمك أرفع يدي، فتشبع نفسى كأنها من شحم ودسم" . هذا هو الشحم الذى يعطيه الله "للجياع والعطاش إلى البر" (مت ٥ : ٦) ، فيشبعون .



هنا يعرض لنا سؤال هام وهو :

هل هذا المزمور لا نقوله إلا فى الحالات الروحية السامية شاكرين الله على الأوقات التى نرى فيها تخومنا فى سلام وقد قوى الله مغاليق أبوابها وبارك بنيتها فيها، أم فى حالات الحروب أيضاً ، والتعب والجهاد ضد الخطية؟

يجيب المرتل على هذا السؤال بقوله : المعطى الثلج كالصوف، والمذرى الضباب كالرماد، ويلقى الجليد مثل الفتات :

الله لم يدع إلى ملكوته الاتقياء فقط الحارين فى الروح، وإنما دعا إليه من المشارق والمغارب أناساً من كل نوع . وهنا يميز المرتل ثلاثة أنواع : الثلج، والضباب، والجليد. فألى من يشير هؤلاء؟



الثلج يشير إلى البرودة من الناحية الروحية ، قال الرب
"ولكثره الإثم تبرد محبة الكثيرين" (مت ٢٤ : ١٢) . فإن كانت كثرة
الإثم تجعل المحبة باردة فما الذى يجعلها ثلجاً إذن؟ لاشك أن هذا
يشير إلى حالة ضلال شديدة. والذين فى تلك الحالة دعاهم الرب
أيضاً إلى ملكوته : كالمرأة التى تعجب الفريسي من لمسها للمسيح،
وجماهير العشارين والزناة .. إلخ . هؤلاء لم يجعلهم مؤمنين
عاديين فقط، وإنما حارين فى الروح كالصوف .. كزكا العشار .



أما الضباب فيدل على الظلمة لأنه يحجب الرؤية . لأن الخطية
تجعل النفس تكتنفها الظلمة، فلا ترى نور الحق ولا تميز . ولذلك
قيل عن الأشرار أنهم "أحبوا الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم
كانت شريرة" (يو ٣ : ١٩) . ولقبهم الكتاب "بالجالسين فى الظلمة"
(لو ١ : ٧٩) . ولكن كيف دعاهم الرب من الظلمة إلى نوره العجيب
(ابط ٢ : ٩) ؟ ذلك بأن أشعل فيهم روح التوبة فسحقت نفوسهم
أحرقت فيهم كل شهوة وكبرياء وحولتهم إلى رماد .



والرماد يرمز إلى التوبة . كما قال الرب عن صور وصيدا أنه
لو عملت فيهما تلك العجائب لتابتا قديماً فى المسوح والرماد
(مت ١١ : ٢١) . وكما قال أيوب "وأندم فى التراب والرماد"

(أى ٤٢ : ٦) . وكما حدث فى توبة نينوى المشهورة أنه حتى ملكها
"تغطى بمسح وجلس على الرماد" (يو ٣ : ٦) . نعم هؤلاء الذين
"سقط عليهم ضباب وظلمة" (أع ١٣ : ١١) . وحجب الضباب عنهم
شمس البر فلم يروا الرب، هؤلاء سوف لا يتركهم الله. بالتوبة
يذرى منهم الضباب فيبصرون ، ويتحول ضبابهم إلى رماد .



وماذا عن الجليد ؟ الجليد صلب جداً، لا يذوب بسهولة مثل
الثلج. إنه يشير إلى البرودة الروحية الشديدة أو إلى القسوة
والصلابة فى البعد عن الله.

وحتى الذين على هذه الصفة يحولهم إلى فتات ، أى يغذى بهم
آخرين. أو قد يدل هذا - فى رأى القديس أوغسطينوس - على أنه
يصيرهم أعضاء فى جسده الذى يرمز له بالخبز "فى جسده أى فى
الكنيسة التى هى جسد المسيح. فقارن بالآية (اكو ١٠ : ١٧) .

ويضرب القديس أوغسطينوس لهذا النوع ببولس الرسول،
فيقول عنه "كان جليداً صلباً، مقاوماً للحق ، صارخاً ضد الإنجيل..
وإذ كان جليداً بدا أبيض ورائقاً، ولكنه كان صلباً جداً وبارداً
ورائقاً. فكيف كان أبيض لامعاً؟ أنظروا .. عبرانى مع العبرانيين
من جهة الناموس فريسي، هذا هو لمعان الجليد. ولكن اسمعوا الآن

عن قساوة الجليد : من جهة الغيرة مضطهد للكنيسة (فى ٣ : ٥ ، ٦).



يمكن للمصلى أن يطبق هذه الحالات الثلاث على نفسه:

الثلج حالة برودة روحية يسمح الله بها وهو قادر أن يحولها إلى حرارة كالصوف. والضباب ظلمة تكتنف النفس من جرأة الخطية، فيزيلها الرب بالإنسحاق. والجليد شدة وقسوة وصلابة فى البعد عن الله أو التعصب لفكرة معينة. ويحول الله هذه الشدة لمنفعة الآخرين أو يفتتها .

على أية الحالات نحن نشكر الله لأنه لم يبق الثلج ولا الضباب ولا الجليد على حاله، بل أذابه، وإلا ...



فى وجه برده من يقوم ؟!

من يستطيع أن يحتمل هذه الحالات ؟! لا يملك الإنسان إلا أن يصرخ "ويلى أنا الإنسان الشقى، من ينقذنى من جسد هذا الموت؟" (رو ٧ : ٢٤). بقوتى لا أستطيع شيئاً. ها أنذا ازداد برودة وصلابة.. أية حرارة تذيبنى حتى أسيل وأجرى؟ من ينقذنى من جسد هذا الموت الذى فى وجه برده من يقوم؟ هل أياس؟! كلا، لأنه يقول :



يرسل كلمته فتذيبه .. يهب روحه فيسيل المياه .

الله الكلمة هو شمس البر ، هو يذيب الثلج والجليد، ويحوله -
بروحه القدوس - إلى "ماء حي ينبع إلى حياة أبدية" . ويزوى أيضاً
"العطاش إلى البر" . ولكن كيف يحدث هذا؟ هل هناك سر وراءه؟
نعم، والسر هو :



المخبر كلمته ليعقوب، وفرائضه وأحكامه لإسرائيل .
ما الذى أخبر الرب به يعقوب؟ قال له "جاهدت مع الله والناس
وقدرت" (تك ٣٢ : ٢٨) .

المسألة إذن تحتاج إلى جهاد، كالصراع الذى صار به يعقوب
الرب، لا يصح أن ننام وننتهون ونكسل، وننتظر أن يهب روحه
فيسيل المياه! لأن ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه
(مت ١١ : ١٢) . وفى ذلك يقول القديس أغسطينوس "لئلا إذا حصلنا
بسهولة على ما فقدناه، نتعلم أن نفقد بسهولة ما حصلنا عليه .
فليتعب الإنسان لكي ينال . فإنه حينئذ سيمسك بحزم هذا الذى حصل
عليه بعد تعب .. هذه هى فرائضه وأحكامه التى أعلنها لإسرائيل" .



لم يصنع هكذا بكل الأمم وأحكامه لم يوضحها لهم .
إذن كيف خلاص الأمم؟ كيف ذاب منهم الثلج والضباب والجليد؟
يقول الرسول ! "أنت زيتونة برية، طعمت فيها (فى الزيتونة

الأصلية)، وصرت شريكاً في أصل الزيتون ودمها" (روا ١١ :
(١٧) .

لم يعد الأمم أمماً . الكل شعب واحد في المسيح ، شعب يعقوب
وروحياً يمكن للمصلين بهذه الآية أن يشكر الله على ما
أوضحه له من فهم وصاياه مما لم يوضحه لغيره، وخاصة من
الأمم التي لم تعرف المسيح. ويشكره لأنه كشف عن عينيه ليرى
عجائب من ناموسه (مز ١١٨ : ج).



هُوَذَا أَنَا عَتِيدٌ أَنْ أَقِفَ
أَمَامَ الدِّيَّانِ الْعَاذِلِ

غالبية الشعب تصلى صلاة النوم، وتقول فى قطعته الأولى :
"هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوباً ومرتباً من
أجل كثرة ذنوبى، لأن العمر المنقضى فى الملاهى يستوجب
الدينونة. فتوبى يا نفسى مادمت فى الأرض ساكنة ، لأن القراب فى
القبر لا يسبح . ليس فى الموتى من يذكر، ولا فى الجحيم من
يشكر. بل انهضى من رقاد الكسل، وتضرعى إلى المخلص بالتوبة،
قائلة اللهم ارحمنى وخلصنى.." .

تذكارات الموت

أود أولاً أن أقول إن الكنيسة المقدسة باستمرار تجعل تذكارات
الموت قائماً أمام الإنسان ، لما فى ذلك من فوائد روحية .
الشخص الذى يغيب تذكارات الموت عن ذهنه، ما أسهل أن يفكر
فى متع الحياة الدنيا، وينشغل بها ويخطئ . مثال ذلك الغنى الخبى

الذى ظن أنه سيعيش سنين عديدة ، وبدأ يفكر فى أن يهدم مخازنه ويبنى أعظم منها وتزيد خيراته ويتمتع! (لوقا ١٢ : ١٨ ، ١٩) .



**تذكر الموت موجود بشكل واضح فى صلاة النوم . وكذلك فى
باقى الصلوات :**

فى إنجيل هذه الساعة نقرأ أن سمعان الشيخ يقول "الآن يارب، اطلق عبدك بسلام حسب قولك" (لوقا ٢ : ٢٩) . وفى القطع واضح تذكر الدينونة . وأيضاً فى القطعة الثانية "لو كان العمر ثابتاً وهذا العالم مؤبداً، لكان لك يا نفسى حجة واضحة، ..." .

وفى صلاة باكر - مع أننا فى أول النهار - نصلى فى المزمور ١٢ ونقول "أمر عينى لئلا أنام نوم الوفاة".

وفى صلاة الساعة الثالثة فى مزمور (الرب يرعانى) ، نقول "إن سرت فى وادى ظل الموت، لا أخاف شراً.."

وفى الساعة السادسة نتذكر صليب المسيح الذى أبطل الموت بموته. ونناجى القديسة العذراء بقولنا "من قيل صليب إبنك انهبط الجحيم وبطل الموت. أمواتاً كنا، فنهضنا واستحققنا الحياة الأبدية" .

وفى الساعة التاسعة ، تذكر موت المسيح واضح. ونقول فى مزاميرها "ارجعى يا نفسى إلى موضع راحتك، فإن الرب قد أحسن

إلى..". وأيضاً كريم أمام الرب موت أتقيائه" (مز ١١٦).

وفي صلاة الغروب نذكر الموت أيضاً ، ويناغى المصلى أمنا العذراء ويقول "وعند خروج نفسى من جسدى إحضرى عندى، ولمؤامرة الأعداء أهزمى، ولأبواب الجحيم أغلقى، لئلا يبتلعوا نفسى يا عروس بلا عيب للختن الحقيقى".

وفي صلاة الستار نذكر يوم الدينونة الرهيب ونقول "يارب إن دينونتك أمرهوبة. إذ تحشر الناس، وتقف الملائكة، وتفتح الأسفار، وتكشف الأعمال.. أية إدانة تكون إدانتى أنا المضبوط فى الخطايا. من يطفى لهيب النار عني؟! من يضى ظلمتى إن لم ترحمنى أنت؟! وفي صلاة نصف الليل، نذكر مجئ المسيح الثانى، وفي أنجيلها يذكر مثل العذارى الحكيمات والجاهلات (مت ٢٥) والاستعداد للقاء الرب. وأن يوم الرب يأتى كلص فى ساعة لا نتوقعها ، وطوبى لذلك العبد الذى إذا جاء سيده يجده مستيقظاً (لو ١٢) . لذلك يقول فى الاستعداد للموت "لتكن أحقاؤكم بمنطقة ومصايبحكم موقدة. وأنتم تشبهون عبيداً ينتظرون سيدهم متى يأتى..".



لاشك أن تذكار الموت مفيد ، لذلك تذكرنا الكنيسة به . وبخاصة فى صلاة النوم ، لأننا نعتبر أن النوم يشبه إلى حد ما

الموت من جهة فقد الإنسان لإدراكه. ويسميه البعض بـ الموت القصير .

ومن أهم تذكارات الكنيسة للموت (أوشية الراقدين) . والصلاة على الموتى. إذ يرى الناس الموت أمامهم ، ويسمعون الصلوات الخاصة به، وكذلك الألحان الحزينة، ويتأثرون بكل ذلك، وبأن الموت هو نهاية لكل حي، وبداية لحياة أخرى لا تنتهى ...



هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل .

لأبد أننى فى يوم من الأيام أقف أمام الديان العادل . ولا يجوز لى أن أنسى هذه الحقيقة أبداً . إنما يجب أن أستعد لها من الآن .

إن القديسين الذين وضعوا أمامهم صورة الدينونة باستمرار ، كانوا حريصين جداً فى روحياتهم . أما أهل العالم فكانوا يضعون أمامهم شهوة العالم والأشياء التى فيه، فكانت تجذبهم تلك الشهوات إليها.. أما أولاد الله، فكانوا يقولون كل ليلة فى صلواتهم "هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل، مرعوباً ومرتبباً من أجل كثرة خطاياى .



لذلك — قبل أن أقف أمام الديان العادل — يستحسن أن أقف

أمام ضميري، وأمام حقيقتي .

وما أعمق كلمة القديس مكاريوس الكبير "احكم ياأخي على نفسك، قبل أن يحكموا عليك" . لأنك حينما تحكم على نفسك، تكون أمامك فرصة أن تصلح نفسك، وتصحح ما فيك من أخطاء. لا تنتظر إلى أن تقف أمام الديان العادل، بعد فوات الفرصة، فرصة التوبة والمغفرة ..

هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان .. وقفة الخشوع والهيبة، بل أيضاً وقفة الخوف. وقفة إنسان ينتظر الحكم عليه .



لم يقل: اقف أمام المسيح الحنون العطوف الطيب الغفور، إنما أقف أمام الديان العادل.

مسألة "العطوف الغفور" هنا على الأرض، في فترة الاختبار التي يمكن فيها أن تتوب. أما في يوم الدينونة الرهيب، فإنك تقف أمام الديان العادل. ليس أمام الرب الذي "لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب أثامنا" الذي "كبعد المشرق عن المغرب، أبعد عنا معاصينا" (مز ١٠٣: ١٠، ١٢) .. كل هذا قيل عن فترة إمكانية التوبة .. أما في ذلك اليوم، فسوف تقف كل أعمالنا أمامنا - أقصد كل ما لم نقدم عنه توبة في حياتنا الأرضية- نعم تقف أمامنا

كل أعمالنا لا تبرح ولا تختفى .



تقول هذه العبارة في صلاة النوم، وأمامك كل أعمالك أثناء النهار .

تحاسب نفسك عليها، وتقدم عنها توبة قبل أن تنام .. كما تقدم توبة أخرى عن أعمالك في الأيام السابقة ...

وهذا يوافق ما نقوله أيضاً في تحليل صلاة النوم "يارب جميع ما أخطأنا به إليك في هذا اليوم: إن كان بالفعل أو بالقول أو بالفكر أو بجميع الحواس، فاصفح واغفر لنا من أجل إسمك القدوس كصالح ومحب للبشر" . نطلب المغفرة عن كل أخطائنا. نحاول أن نضعها أمامنا لكي بالتوبة يمحوها الرب بدمه الكريم .



هناك عبارات قالها الرب في فترة تجسده، لا يقال في يوم الدينونة الرهيب، بعد أن يُغلق الباب (مت ٢٥ : ١٠-١٢) .

مثال ذلك قوله للمرأة المضبوطة في ذات الفعل "ولا أنا أدينك" (يو ٨ : ١١) وقوله للتي مسحت قدميه بشعر رأسها "مغفورة لك خطاياك.. اذهبي بسلام" (لو ٧ : ٤٨ ، ٥٠) . وقوله "أما أنا فلست أدين أحداً" (يو ٨ : ١٥) أو عبارة "لأن الله لم يرسل ابنه إلى العالم،

ليدين العالم، بل ليخلص به العالم" (يو ٣: ١٧) .

كل هذا عن فترة تجسده، وفترة إمكانية التوبة بالنسبة إلى البشر
أما أمام الديان العادل ، فلا يوجد شفيع ، ولا يوجد حلّ، إنما
يوجد قضاء وحكم...



هنا على الأرض نتشفع بالقدّيسين. أما في ذلك اليوم ، فلا توجد
شفاعة . أنظروا ما قاله أبونا ابراهيم للرجل الغنى "اذكر أنك
استوفيت خيراتك على الأرض، ولعازر البلى.. وفوق هذا كله بيننا
وبينكم هوة عظيمة قد أثبتت .. الذين يريدون العبور من هنا إليكم
لا يقدرّون. ولا الذين من هناك يجتازون إلينا" (لو ١٦: ٢٥، ٢٦)



يا أخوتى ، مخيفة ورهيبة تلك الساعة، التي قال عنها الرسول:
"مخيف هو الوقوع في يدى الله الحي" (عب ١٠: ٣١) .
حينما نقف أمام الديان. وأى ديان؟ أمام الديان العادل، الذى قيل
عنه أنه يجازى كل واحد بحسب أعماله (مت ١٦: ٢٧) (رو ٢٢:
١٢) . وكما قال القديس بولس الرسول "لأنه لا بد أننا جميعاً نظهر
أمام كرسي المسيح، لينال كل واحد منا ما كان بالجسد، بحسب ما
صنع: خيراً كان أم شراً" (٢كو ٥: ١٠) . لهذا يقول المصلّى في

صلاة النوم "هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوباً
ومرتعداً من أجل كثرة ذنوبى" ...



هنا على الأرض نقول "كرحمتك يارب ولا كخطايانا" . إذ يوجد
مجال للرحمة، لأنه يوجد مجال للتوبة. أما فى ذلك اليوم فتوجد
دينونة على كل كلمة بطالة تخرج من أفواهكم" (مت ١٢ : ٣٦) .
توجد أمامنا الآية التى تقول "من قال لأخيه يا أحمق يكون مستوجب
نار جهنم" (مت ٥ : ٢٢) . وأيضاً عبارة "بكلامك تتبرر، وبكلامك
تدان" (مت ١٢ : ٣٧) .. إذن ليست الدينونة هى فقط عن الخطايا
البشعة، إنما على ما نظنها بسيطة أيضاً .

إن كانت الدينونة هكذا خطيرة، فاعمل على محو ذنوبك
بالتوبة.

واعمل اعمال رحمة كثيرة تقف إلى جوارك فى ذلك اليوم . إذ
أن الرب قد قال "طوبى للرحماء فإنهم يرحمون" (مت ٥ : ٧) .
اصنع لك أصدقاء من مال الظلم (لوقا ١٦ : ٩) واكنز لك كنوزاً فى
السماء (مت ٦ : ٢٠) تجدها هناك .



ولماذا تقف مرعوباً ومرتعداً أمام الديان العادل؟

تقول "من أجل كثرة ذنوبى" .. ليتك تتخلص من هذه الذنوب وأنت هنا على الأرض . ليت ضميرك لا يبكك على شئ قبل أن تقف أمام الديان العادل . استمع بكل قلبك إلى قول الرسول "اصطلحوا مع الله" (٢كو ٥ : ٢٠) . هوذا القديس يوحنا الرسول يقول "إن لم تلمنا قلوبنا، فلنا ثقة من نحو الله" (١يو ٣ : ٢١) . فهل قلبك يلومك على شئ؟ إذن اسرع وتخلص منه ... الآن توجد فرصة، تتال فيها الحل والمغفرة. أما فى ذلك اليوم ، فلا حل ولا مغفرة، لأنه قد أغلق الباب. وكما قيل عن إيزابل فى سفر الرؤيا: "أعطيتها زماناً لكى تتوب.. ولم تتب" (رؤ ٢ : ٢١) .



أتقف مرعوباً من أجل كثرة ذنوبك؟ هوذا الله قد أعطاك وعداً بمحو هذه الذنوب، إن رجعت إليه .

إنه يقول "ارجعوا إلىّ ، ارجع إليكم" (ملا ٣ : ٧) . فارجع إذن إليه . وإذا رجعت إليه ماذا يحدث؟ إنه يقول عمن يرجع عن خطاياهم "حياة يحيا، لا يموت. كل معاصيه التى فعلها، لا تذكر عليه" (حز ١٨ : ٢١، ٢٢) .

ويقول الرب فى سفر ارميا عن التائبين "لأنى اصفح عن إثمهم، ولا اذكر خطيتهم بعد" (أر ٣١ : ٣٤) . إذن سوف لا تجد فى يوم

الدينونة هذه الذنوب التي لم يعد الله يذكرها. وكما قيل في المزمور
"طوبى للذى غُفر إثمهُ وسُتِرت خطيئته. طوبى للإنسان لا يحسب له
الرب خطية" (مز ٣٢: ١، ٢) .

ولقد سر بولس الرسول بهذه العبارة من المزمور، فاستشهد بها
في رسالته إلى أهل رومية (رو ٤: ٧، ٨). حقاً، ما أجمل عبارة "لا
يحسب له الرب خطية" . لذلك يستخدمها الرسول في المصالحة مع
الله، فيقول "غير حاسب لهم خطاياهم" (٢كو ٥: ١٩) .



في يوم الدينونة لا نتجادل مع الله، بل "يستد كل فم" (رو ٣:
١٩). لكنه هو يمحو خطايانا بدمه، بالتوبة .

أنا أعرف أنه يُقال في صلاة الستار "يارب إن دينونتك لمرهوبة،
إذ يجتمع الناس، وتقف الملائكة وتُفتح الأسفار، وتتكشف الأعمال،
وتفحص الأفكار. أية إدانة تكون إدانتى أنا المضبوط بالخطايا..".

هذه الأسفار هي الكتب التي سجلت فيها أعمالنا. وفيها حصاد ما
قد زرعناه على الأرض . وكما يقول الكتاب "ما يزرعه الإنسان،
إياه يحصد أيضاً. لأن من يزرع لجسده، فمن الجسد يحصد فساداً.
ومن يزرع للروح، فمن الروح يحصد حياة أبدية" (غل ٦: ٧، ٨) .
يوم الدينونة هو يوم الحصاد . فهل زرعت للجسد أم للروح،

حتى تحصد نتاج زرعك حينما تقف أمام الديان العادل؟ ولكن اسمع
هذه الآية المعزية :



"لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع،
السالكين ليس حسب الجسد، بل حسب الروح" (رو ٨: ١) .
إذن إن كنت في المسيح يسوع ، وكنت تسلك حسب الروح
وليس حسب الجسد، فلن تخاف حينما تقف أمام الديان العادل..
وسوف لا يكتب إسمك في أسفار الخاطئين، بل في سفر الحياة.
فهذا القديس يوحنا الحبيب يقول في سفر الرؤيا "ورأيت الأموات
صغاراً وكباراً واقفين أمام الله. وانفتحت أسفار. وانفتح سفر آخر
هو سفر الحياة . ودين الأموات مما هو مكتوب في الأسفار بحسب
أعمالهم.. دينوا كل واحد بحسب أعماله .. وكل من لم يوجد مكتوباً
في سفر الحياة، طُرح في بحيرة النار" (رؤ ٢٠: ١٢ - ١٥).



بحيرة النار هي الرعب الذي يرتعش منه الخطاة .
وأيضاً الخجل والعار أمام الملائكة والقديسين وسائر البشر .
أحباؤك يندهشون جداً حينما تتكشف أمامهم خطاياك . وأعداؤك
يشمتون.. يقولون: أين كان مخفياً هذا كله، مما لم تكن نعرفه عنك؟!

أكان مخفياً تحت ثوب من الرياء، كالقبور المبيضة ، تظهر من الخارج جميلة، وهى من الداخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة (مت ٢٣ : ٢٧) .



حقاً هو يوم رهيب، يوم الوقوف أمام الديان العادل .
بل مجرد يوم مجيئه للدينونة، يقول فى ذلك القديس يوحنا الرائى : "..وملوك الأرض والعظماء والأغنياء والأمراء والأقوياء، وكل عبد وكل حرّ ، أخفوا أنفسهم فى المغاير وفى صخور الجبال. وهم يقولون للجبال وللصخور اسقطى علينا واخفينا عن وجه الجالس على العرش وعن غضب الحمل . لأنه قد جاء يوم غضبه العظيم . ومن يستطيع الوقوف؟!



ذلك اليوم أيضاً سيكون يوم مقارنة .
بين الوقوف على اليمين، والوقوف على اليسار . بين الذين يقول لهم الرب "تعالوا يا مباركى أبى، رثوا الملك المعدّ لكم منذ تأسيس العالم" (مت ٢٥ : ٣٤) ، والذين يقول لهم "اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته" (مت ٢٥ : ٤١) .
يوم تجتمع فيه أمام الرب جميع الشعوب، فيميز بعضهم عن

بعض، كما يميز الراعى الخراف من الجداء (مت ٢٥ : ٣٢) .. يوم تدخل فيه العذارى الحكيمات إلى العرس . بينما تقف الجاهلات خارجاً يتضرعن إلى الرب، فيقول لهن "الحق أقول لكن إنى لا أعرفكن" (مت ٢٥ : ١٢) .

لذلك يقول المصلى فى صلاة النوم :
هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوباً ومرتعداً من أجل كثرة ذنوبى.



لماذا يقف الإنسان مرعوباً ومرتعباً أمام الديان العادل .
لأنه من ضمن العقوبات الطرد من أمام وجه الله، والطرد من مجمع الأبرار، أو عدم الاستحقاق للتواجد فيه. عقوبة الطرد بدأت منذ آدم (تك ٣ : ٢٤) . وأخذت صورة أصعب بالنسبة إلى قايين ، الذى قال للرب "إنك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض، ومن وجهك أختفى" (تك ٤ : ١٤) .

وفى الأبدية يكون الأمر أصعب حيث يقول الرب : لا أعرفكم.
قالها للمتباهين بصنع المعجزات "إنى لم أعرفكم قط، اذهبوا عني يا فاعلى الإثم" (مت ٢٣ : ٧). وقالها للعذارى الجاهلات "الحق أقول لكن إنى ما أعرفكن" (مت ٢٥ : ١٢). وقالها لكثيرين من

الخطاة "إني لا أعرفكم من أين أنتم! تباعدوا عني يا جميع فاعلى الظلم" (لو ١٣ : ٢٥ ، ٢٧) .

لذلك قيل إنهم يطرحون خارجاً (لو ١٣ : ٢٨) "فى الظلمة الخارجية" (مت ٨ : ١٢) .

"فى الظلمة" لأن الله نور، والأبرار نور، وأورشليم السمائية هى مدينة منيرة (رؤ ٢١ : ٢٣) . وعبرة "الظلمة الخارجية" تعنى أن هؤلاء الخطاة يكونون خارج "مسكن الله مع الناس" (رؤ ٢١ : ٣) .
ما أصعب حالة هؤلاء المطرودين من الله !!



إن الحرمان من الله هو أصعب عقوبة يتعرض لها الخطاة .
الحرمان من النعيم الأبدى . الحرمان من عشرة الملائكة والقديسين . الحرمان من شجرة الحياة . ومن إكليل الحياة (رؤ ٢ : ٧ ، ١٠) . ومن إكليل البر هذا الذى يهبه أيضاً الديان العادل (٢تى ٤ : ٨) . الحرمان مما أعده الله للذين يحبونه: ما لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر (١كو ٢ : ٩) .. الحرمان من الحياة الأبدية ومن معرفة الله (يو ١٧ : ٣) .

لأجل كل هذا يقف الخاطى مرعوباً ومرتعداً أمام الديان العادل .
بالإضافة إلى الخوف من العذاب الأبدى (مت ٢٥ : ٤٦) فى

"النار المعدة لإبليس وملائكته" (مت ٢٥ : ٤١) "حيث البكاء وصرير
الأسنان" (مت ٢٤ : ٥١) .



ولكن الآن لا يزال هناك مجال للنجاة من هذا كله .
أن نتوب ونرجع إلى الله . حينئذ لا نقابله بخوف، بل بفرح ،
منصتين إلى وعده الكريم "أنا ماضٍ لأعد لكم مكاناً.. آخذكم إليّ،
وحيث أكون أنا ، تكونون أنتم أيضاً" (يو ١٤ : ٢ ، ٣) . نعم، هناك
معه نعيش في الفرح الذي لا ينتهي، الذي لا ينزعه أحد منا ...



تَوْبِي يَا نَفْسِي
مَا دُمْتُ فِي الْأَرْضِ سَاكِنَةً

وقف المصلى مرعوباً ومرتبباً أمام الديان العادل من أجل كثرة ذنوبه.. ثم قال "توبى يا نفسى مادمّت فى الأرض ساكنة. لأن التراب فى القبر لا يُسبّح. ليس فى الموتى من يذكر، ولا فى الجحيم من يشكر. بل أنهضى من رقاد الكسل، وتضرعى إلى المخلص بالتوبة قائلة : إلهى ارحمنى وخلصنى..".

حسن جداً أن يستيقظ الإنسان ويرجع إلى نفسه ..

لأن كثيراً من الناس يقعون فى غفلة ، ولا يدرون ما هم فيه. كإنسان يجرفه التيار ، أو تلقه الدوامة، فلا يحسّ بنفسه. وكما قال أحد القديسين إن غالبية الخطايا، يسبقها إما الكسل أو التهاون أو الغفلة . فيعيش الإنسان خارج نفسه. ولذلك حسناً قيل فى توبة الابن الضال إنه "رجع إلى نفسه" (يو ١٥ : ١٧) .

هنا الإنسان - فى توبته - يستيقظ . وحبذا لو استيقظ مبكراً.
ويقول مع المزمور "أنا اضطجعت ونمت، ثم استيقظت، لأنك أنت معى" (مز ٣) . نعم طوبى للإنسان الذى يستيقظ مبكراً. فلا

يأخذه النوم مدة طويلة من الوقت . يستيقظ ويقول "هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوباً ومرتعداً بسبب كثرة ذنوبي" . وهنا يدرك أنه كما أن الله رحيم، هو أيضاً عادل، وهو أيضاً ديان. ويقول بولس الرسول "هوذا لطف الله وصرامته. أما اللطف فلك إن ثبت في اللطف، وإلا فأنت أيضاً ستقطع" (رو ١١ : ٢٢) . إذن هناك أيضاً صرامة، يمكن أن تحكم بالقطع ...



البعض يشبه علاقة الله مع البشر بالمرآة .

قد تنتظر إلى المرآة، فتري وجهاً مبتسماً. وقد تنتظر إليها فتري وجهاً متجهماً. والمرآة هي نفس المرآة. ولكنها تعكس الوجه الناظر إليها. وهكذا أنت في حالة البر، ترى وجه الله القدوس المحب للبر. وفي حالة خطيتك ترى وجه الله القدوس المشمئز من الخطية..

مثل ملاك الفصح : الذي كان للبعض سبب هلاك، ولللبعض سبب نجاة، يرى الدم فيعبر عنهم (خر ١٢) .

البعض ينظر إلى الملائكة على أنهم رسل رحمة وحنو. ولكنهم أحياناً يكونون رسل دينونة وإهلاك وموت .

ملاك القيامة كان للمريمتين سبب فرح . وبالنسبة للجند الحراس، يقول الإنجيل "فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا

كأموات" (مت ٢٨ : ٤) . إذن هناك وقت ينظر فيه الإنسان إلى الملاك فيتعزى، بينما ينظر إليه فى وقت آخر فيخاف.. حسب حالة القلب من الداخل ...

الملاك الذى أرسل لمعاقبة داود على خطيته، بسط يده على أورشليم لمعاقبتها. وملاك ضرب من جيش سنحاريب ١٨٥ ألفاً (٢مل ١٩ : ٣٥). ملائكة آخرون كانوا للإنقاذ مثل الملاك الذى أنقذ بطرس من السجن (أع ١٢ : ٧، ٨) .

كذلك الرب : فى وقت تتكى فى حضنه مع يوحنا (يو ١٣ : ٢٥). وفى وقت آخر يقال "مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى" (عب ١٠ : ٣١) .

ومكتوب أيضاً فى نفس هذا الإصحاح "إن أخطأنا باختيارنا بعدما أخذنا معرفة الحق، لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا، بل قبول دينونة مخيف، وغيره نار عتيدة أن تأكل المضادين.." (عب ١ : ٢٦، ٢٧). يحدث هذا فى عصر النعمة؟ نعم، يتابع الرسول كلامه فيقول "كم عقاباً أشدّ، تظنون أنه يحسب مستحقاً من داس ابن الله، وحسب دم العهد الذى قدّس به دنساً، وإزدري بروح النعمة .. لى النعمة، أنا أجازى، يقول الرب" (عب ١٠ : ٢٩، ٣٠) .

✠ ✠ ✠

نقول هذا، لنلا يظن البعض أن العقوبة كانت موجودة في العهد القديم . أما العهد الجديد فكله حب، ولا عقوبة فيه ١١
على هؤلاء أن يقرأوا عن الويلات التي حدثت من أبواق
الملائكة السبعة كما ذكرها سفر الرؤيا (رؤيا ٨، ٩). وأيضاً ليقرأ عن
السبع جامات التي سكبها الملائكة السبعة على الأرض والبحر
والهواء (رؤيا ١٠) . وما قيل في كل تلك الإصحاحات عن غضب
الله .. كلام مخيف .



بالإضافة إلى عقوبات الله، وعقوبات الأبدية، هناك عذاب
الضمير .

قد يحتمل الإنسان إهانات واحتقار الآخرين له. ولكن من
الصعب عليه أن يحتمل احتقاره لنفسه . لقد ذكر الرب "البكاء
وصرير الأسنان" في العذاب الأبدى (مت ١٣ : ٤٢) . ولكن لاشك
أنه يوجد على الأرض أيضاً، بكاء وصرير أسنان .. من الندم
وتأنيب الضمير ، وحسرة الخاطيء بسبب ما قد فعله، وهو يقول
لنفسه : أين كان عقلي وقتذاك، وأين كان ضميري؟
إننا نقف أمام الديان العادل هنا على الأرض، وكذلك في
السماء .

هنا نقف أمامه حينما ندخل في محاسبة النفس ، وننسى لذة

الخطية ومنتعة العالم والجسد والمادة ، بل نرتعب من تذكّار ذنوبنا..
ونلوم أنفسنا ونبكتها . وسعيد هو الإنسان الذى يبكت نفسه هنا،
وتمحى بالتوبة خطاياها، قبل أن يقف فى اليوم الأخير مرعوباً
ومرتعداً.. وقد صدق القديس مكاريوس الكبير حينما قال "احكم يا
أخى على نفسك، قبل أن يحكموا عليك" .

وفى تبكيت الإنسان لنفسه يقول لها "توبى .. مدمت فى الأرض
ساكنة" توبى، لأنه توجد الآن فرصة للتوبة وللمغفرة. قبل أن
تسمعى صوت الرب القائل "أعطيتها زماناً لكى تتوب.. ولم تتب"
(رؤ ٢: ٢١) . صدق الذى قال :

الذين فى الجحيم يشتهون دقيقة واحدة من عمر الأرض،
يقدمون فيها توبة ...

ولكن فانت الفرصة ، وضاعت فترة التوبة ، مهما صرخوا
وقالوا: ياربنا ياربنا، افتح لنا" (مت ٢٥: ١١) فيجيّبهم "اذهبوا عنى
يا فاعلى الإثم" (مت ٢٣: ٧) "الحق أقول لكم إنى لم أعرفكم قط"
(مت ٢٥: ١٢) (مت ٢٣: ٧) .



إذن توبى يا نفسى ، مدمت فى الأرض ساكنة .

مادام باب التوبة لا يزال حتى الآن مفتوحاً، قبل أن يغلق بعد
الموت. إن القديس مارافرام يقول "الويل للمتوانى الذى سيطلب

الزمان الذى أضاعه عبثاً.. اجتهد فى هذه الساعة الحادية عشرة،
قبل أن ينتهى النهار .. فاغنم يومك هذا، قبل أن ينطلق ، قبل أن
يهرب منك..".

إن اليوم الذى يضيع من حياتك ، لا تستطيع أن تسترجعه .
قد تحزن عليه، وقد تقدم عنه توبة. ولكنك لا تستطيع أن
تسترجعه. لقد انتهى. فحاول أن تعمل إذن لأبديتك فى هذا اليوم
الذى تعيشه قبل أن يفلت منك، ويصبح أمساً لا عودة له . أتذكر
أننى قلت مرة :

ما حياتى غير أمس ضائع ... كلها أمس إذا طال الأمد
إن يومى هو أمس فى غدٍ ... وغدى يصبح أمساً بعد غدٍ
❖ ❖ ❖

أخشى أن كثيراً من الأبرار فينا: يقضون نصف العمر فى
الخطايا، والنصف الآخر فى البكاء عليها!!

أو يقضون النهار فى ارتكاب الخطايا، والليل فى البكاء عليها..
أما المحزن حقاً، فهو أن يقضى الناس وقتهم فى ارتكاب
الخطايا، ولا يجدون وقتاً للبكاء عليها..! وقد لا يجدون وقتاً للندم
على خطاياهم، من انشغالهم بعد ذلك فى ارتكاب خطايا أخرى!!
وأنت ، تراك من أى نوع؟ هل من النوع الذى يبكى على

خطاياہ فی صلاة النوم؟ لیتک تبکت ذاتک فی صلاة النوم، کل يوم..



هناك إنسان لا يبکت نفسه على خطاياہ، لأنه یار فی عینى
نفسه !

لا یعرف لنفسه خطیة یبکت ذاته علیها!! یقول ماذا فعلت؟!..
غالباً مثل هذا الإنسان مقایسه الروحیة غیر سلیمة، ومحاسبته
لنفسه غیر دقیقة، أو هو من النوع الذی یجامل نفسه، ویعذرہا
ویبررہا فی کل ما تفعلہ.. أما أنت فلا تکن هكذا . وعلیک أن تحیا
حیاة التدقیق، وتبکت نفسك على کل عمل خاطئ، وکل فکر
منحرف، وکل کلمة بطالة ، وکل شهوة لا تلیق ..



اذکر کیف کان داود النبی فی کل لیلة یبیل فراشه بدموعه
(مز ٦). وکرر تلك العبارة التي نقولها فی الخدمة الثانية من صلاة
نصف اللیل : "اعطنی یارب ینابیع دموع كثيرة، كما أعطیت فی
القديم للمرأة الخاطئة" .

وبعض الرهبان یصلونها هكذا: "إعطنی یارب توبة نقیة،
إعطنی یارب غفران خطیة، إعطنی یارب ینابیع دموع كثيرة
سخیة، كما أعطیت فی القديم للمرأة الخاطئة" .. والبعض یلی هذه
الصلاة بتفاصيل كثيرة فیقول "اعطنی یارب ینابیع دموع كثيرة

لأبكي على كذا وكذا" ويظل يسرد تفاصيل خطاياہ وتقصيراته طالباً
عن كل منها ينابيع دموع كثيرة ...



ولكننا يا أخوتي ، نريد أن ندلل أنفسنا، ونقول لماذا نحزن
ذواتنا بذكر خطايانا. ونفضل أن نقضى ليالينا فى متعة !!

بينما يقول ماراسحق "الليل مفرز لعمل الصلاة" . ويقول المرتل
فى المزمور "فى الليالى ارفعوا أيديكم أيها القديسون وباركوا الرب"
(مز ١٣٤) . أين هى ليالينا المقدسة التى نقضيها فى الصلاة والتأمل
والتوبة ، ونقول فيها "توبى يا نفسى مادمت فى الأرض ساكنة..".
إن كنتى لم تتوبى فى القديم، فتوبى الآن، ولو مع أصحاب الساعة
الحادية عشرة، ولو فى آخر ساعات الحياة كما فعل اللص اليمين..
فالوقت وقت مقبول (٢كو ٦: ٢) .

اطلب التوبة قبل أن يطلبك الموت .

إن كانت قد ضاعت منك ساعات النهار ، وعطلتك مشاغل
كثيرة، فلا تدع ساعات الليل تضيع منك. استغل بعضاً منها فى
الصلح مع الله .. اطلب التوبة قبل أن يستغل الشيطان تهاونك
ويقيدك أكثر فأكثر . واعرف أن الإنسان الذى يؤجل التوبة، إنما
يعطى فرصة للخطية لكى تتعمق فى حياته . فتنحول العثرة إلى
سقطه ، والسقطه إلى عادة، ثم إلى طبع !

لا تؤجل التوبة . لأنك لا تضمن أن تستمر زيارة النعمة التي
معك الآن ...

لا تضمن رغبتك الحالية في التوبة هل ستبقى أم ستفنى؟ ولا
تضمن بقاء الفرص التي قدمها لك الله. كذلك أنت لا تدري ما
يقدمه لك عدو الخير من الحروب ، إن رأى تهاوناً منك في التوبة.
تذكر أن فيلكس الوالى لما ارتعد من حديث القديس بولس عن البر
والدينونة والتعفف، ولم ينتهز الفرصة للتوبة، بل قال للرسول
القديس "اذهب الآن. ومتى حصلت على وقت استدعيك" (أع ٢٤: ٢٥)
، لم يقل الكتاب إنه حصل على وقت !!

كذلك لما تأثر أغريباس الملك، وقال للقديس بولس "بقليل تقنعنى
أن أصير مسيحياً" (أع ٢٦: ٢٨). ولم يستغل أغريباس الفرصة،
ضاعت منه ...

فلا تقل إذن لزيارة النعمة: اذهبى الآن إلى أن يحصل لى وقت..
لا تكن مثل فيلكس واغريباس . ولا تكن مثل النبات الذى طلع
قليلاً ثم خنقه الشوك، ولا مثل البذار التى النقطها الطير (مت ١٣:
٤، ٧) . ولا تكن مثل العذارى الجاهلات اللاتى ذهبن متأخرات
لشراء الزيت (مت ٢٥: ١٠) .



يكفى الزمان الذى مضى . فلا تزد عدد خطاياك .

من الجائز أن يجلس إنسان إلى نفسه ليحاسبها ، فيرى أنه ارتكب عدداً من الخطايا: لو وزعت على أهل العالم كله، لأصبح كل منهم خاطئاً! ولو وزعت أفكاره الشريرة عليهم لتتجس الكل!! لا تقل أنا صغير، وحينما أكبر سأتوب. ربما حينما تكبر، تصبح التوبة صعبة عليك، من فرط تعودك عليها وارتباطك بها وجريانها فى دمك. كما أن توبة الشيخوخة قد تكون رخيصة. لذلك قال الكتاب "اذكر خالقك فى أيام شبابك.." (جا ١٢ : ١) . ويكون جسدك قد ضعف، ولست أنت الذى انتصرت عليه.

لا تقل مثالى هو اللص اليمين! لا تضمن، فقد يكون مصيرك كاللص الآخر الذى كان وهو فى ساعات الموت يجدف على المسيح (لو ٢٣ : ٣٩ - ٤١) .



عندما تقول توبى يا نفسى، حول ذلك إلى توبة عملية . لا تجعلها مجرد فكرة أو رغبة . فالابن الضال عندما قال "أقوم الآن وأذهب إلى أبى" قام مباشرة وذهب إلى أبيه (لو ١٥ : ١٨ ، ٢٠) . يقول المصلى لنفسه : توبى قبل الموت . لماذا ؟

لأن التراب فى القبر لا يسبح . ليس فى الموت من يذكر، ولا

فى الجحيم من يشكر .

بهذه الآية يمكن الرد على المشتغلين بعلم الأرواح الذين ينادون بأنه توجد توبة بعد الموت !! نرد أيضاً بقول الكتاب فى مثل العذارى "واغلق الباب" (مت ٢٥ : ١٠). ويقول السيد المسيح لليهود غير المؤمنين به "تموتون فى خطاياكم. وحيث أمضى أنا لا تقدرّون أن تأتوا" (يو ١٨ : ٢١) . وأيضاً قول أبينا ابراهيم لغنى لعازر "بيننا وبينكم هوة عظيمة قد أثبتت. حتى الذين يريدون العبور من ههنا إليكم لا يقدرّون . ولا الذين من هناك يجتازون إلينا" (لو ١٦ : ٢٦) .

لذلك ينبغى التوبة من الآن ...

ونحن فى الجسد ، وفى العالم المادى . ننتصر على الجسد قبل أن نخلعه . حتى إذا ما خلعناه بالموت، نخلع جسداً ثانياً . متذكرين قول الرسول "لأنه لا بد أننا جميعاً ، نُظهر أمام كرسي المسيح، لينال كل واحد ما كان بالجسد، بحسب ما صنع خيراً أم شراً" (٢كو ٥ : ١٠) .



تُؤَيِّبِي يَا نَفْسِي
إِنْهَضِي مِنْ رُقَادِ الْكَسَلِ

كل إنسان يقول لنفسه "توبى". فالتوبة للكل، وليست فقط للمبتدئين فى حياة الروح .

ليس إنسان بلا خطية، ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض. إنما تختلف نسبة ونوعية الخطية .

يقول "توبى يا نفسى، لأن نفسه هى السبب فى الخطية، مهما كانت الأسباب الخارجية. لأن هذه الأسباب إن لم تخضع لها النفس فلا تخطئ .

حسناً أن يدعو الإنسان نفسه إلى التوبة، قبل أن يدعو الناس إلى ذلك .

لاشك أن الدافع الداخلى هو الأقوى والأفضل. لأن الذى ليس له هذا الدافع الداخلى، ربما يتعب معه المرشدون والآباء الروحيون. وعلى رأى المثل العامى (اللى ما يجيش من نفسه، سواقه تعبان).

❖ ❖ ❖

هناك أسباب كثيرة تجعل الإنسان يقول لنفسه : توبى .

يوجد إنسان محبته لله عميقة جداً. وقلبه يلتهب بالنار إذا أخطأ،
وضميره يبكته بشدة، فيقول لنفسه توبى .

وإنسان آخر حطمت الخطية، وتعب من نتائجها الرديئة ومن
المصائب التي جرتها عليه، فيقول : توبى يا نفسى .

وإنسان آخر يتعبه مرض خطير أو تتعبه مشاكل معقدة، فيلجأ
إلى الله ليصطلح معه، ويقول لنفسه توبى ، خوفاً من أن يكون الله
قد تخطى عنه بسبب خطاياها، فأحاطت به الضيقات .

وإنسان أتته الفرصة أن يجلس إلى نفسه يحاسبها، فوجد أنه فى
الموازين إلى فوق، فيقول توبى يا نفسى ...



يحتاج الإنسان أن يكره الخطية ، لكي يتوب .

أما الإنسان الملتذ بالخطية، فليس فى نيته أن يقول "توبى يا
نفسى" ، لأنه لا يريد أن يتوب !! كذلك الإنسان الذى لم يقتنع بعد
بأنه فى وضع خاطئ. لذلك يحتاج أن يعدل موازينه وقيمه، بترك
ما هو فيه. فيقول "توبى يا نفسى" ...

توبى يا نفسى مادت فى الأرض ساكنة .

لأن التراب فى القبر لا يستبح. ليس فى الموتى من يذكر، ولا
فى الجحيم من يشكر. فالإنسان بعدما يدخل جسده إلى القبر،

ويتحول إلى تراب، ليس من المعقول أن يستبح الله. وإن كانت نفسه
الخاطئة قد ذهبت إلى الجحيم ، فلن تشكر هناك، وليس أمامها مجال
للتوبة بعد مفارقتها للجسد. لذلك يقول لها :

✠ ✠ ✠

إنهضى من رقاد الكسل ، وتضرعى للمخلص بالتوبة .
الشخص الروحي باستمرار حواسه مستيقظة ، وأفكاره منتبهة
لله. يرقب كل شئ بوضوح . واخذ باله من نفسه . أما الخاطيء فهو
متهاون من جهة خلاص نفسه، يحتاج أن ينهض من رقاد الكسل،
من الغفلة التى هو فيها .

✠ ✠ ✠

رقاد الكسل هذا، يشمل الجسد والروح كليهما: الجسد كسلان
لا يسهر فى الصلاة. والروح أيضاً كسلانة ومتهاونة . لذلك يدعونا
الرب إلى السهر ويقول : "لكن أحقاؤكم ممنطقة، وسرجكم موقدة."
(لو ١٢ : ٣٥ ، ٣٦). لذلك يقول بعدها "طوبى لأولئك العبيد الذين إذا
جاء سيدهم يجدهم ساهرين" (لو ١٢ : ٣٦) . ويقول أيضاً :
"لئلا يأتى بغتة، فيجدهم نياماً" (مر ١٣ : ٣٦) .

من جهة الجسد ، كان أبائنا يسهرون الليل كله فى الصلاة، كما
كان يفعل القديس أرسانيوس .. وكما يُقال فى أحد مزامير صلاة
النوم "فى الليالى ارفعوا أيديكم أيها القديسون وباركوا الرب"

(مز ١٣٣) . ومن جهة الروح، يلزمنا السهر الروحي باستمرار
(وقد أصدرت لكم كتاباً باسم : السهر الروحي). فعلياً أن تكون
أرواحنا متيقظة ، لا تسمح لأى فكر خاطئ أن يدخل إليها ...
ولا يستطيع إنسان أن يعتذر بعدم قدرته على السهر فى الصلاة.
لأنه كثيراً ما يسهر فى أحاديث تتهووه، أو فى برنامج تلفزيونى
يجذبه. أو يسهر فى الإستعداد لإمتحان ، أو فى بحث مشكلة ما..
إن السيد الرب قد وبخ تلاميذه قائلاً: "أما قدرتم أن تسهروا معى
ساعة واحدة!؟ (مت ٢٦ : ٤٠) . إنه تأنيب لنا جميعاً.



والسهر ليس معناه أن يستيقظ الإنسان، ولو فى أحاديث
باطلة، إنما المقصود أن يسهر فى عمل روحى.
كما قال الرب لتلاميذه "أن تسهروا معى..". يا ليتكم إذن
تستطيعون أن تحفظوا مزامير وصلوات ، تستطيعون أن تصلوا بها
فى الليل، ولو فى الظلام، دون أن يلاحظكم أحد.. إن كان أحد
يتفادى أن يراه أقرباؤه ممسكاً بأجبية يصلى .
إن تدريب "تمضية الليل كله فى الصلاة" ، هو تدريب خاص
بالقديسين. وكان يمارسه الآباء الرهبان. أما بالنسبة إليك، فعلى
الأقل تقضى فى الصلاة ما تستطيعه من الليل. ولا تكن كأهل العالم

الذين يقضون الليل في اللهو والعبث .. وصدق أحد الآباء حينما قال
عن العمل الروحي :

من يكسب صداقة الليل، يمكنه أن يقضى النهار حسناً مع الله.
أى أن ما يختزنه من تأملات وأفكار روحية في الليل، تصحب
كل هذه بالنهار، وتتقذه من حروب الخلطة مع الناس والإتشغال في
الماديات .

فكروا معي يا أخوتي : كيف نقضى ليالينا مع الله؟ وهل يوجد
من هو ألد من المسيح في لياليكم. وما الثمر الذي تجنونه من كل
ليلة؟ وهل ليالينا للجسد أم للروح؟ ولاشك أنه حسب قضاء الليل،
تكون أحلام الليل أيضاً .. أمران أمامنا يجب أن نتفادى كلا منهما:
رقاد الكسل، والسهر الخاطيء. وفي السهر الخاطيء، رقاد للروح.
فانهضى يا نفسى من رقاد الكسل، وتضرعى للمخلص بالتوبة ..

ما أجمل أن نتذكر قول داود النبى ، رجل الصلاة :

"أنى لا أدخل إلى مسكن بيتى، ولا أصعد على سرير فراشى،
ولا أعطى لعيني نوماً.. إلى أن أجد موضعاً للرب ومسكناً لإله
يعقوب" (مز ١٣١) .

فهل أنت هكذا لا تعطى لعينيك نوماً، إلا أن أوجدت للرب
موضعاً في قلبك، وفي قلوب الناس أيضاً؟ حاول أن تفعل هكذا.

سواء السهر فى الصلاة، أو السهر فى الخدمة، أو فى كليهما. ولا تترك نفسك لعبث الليل وملاهيته .



إننى حزين على الليل الذى ضاعت سمعته، وأصبح مجالاً للمغنين والمغنيات، ولراقصين والراقصات. حتى أن عبارة (النوادي الليلية) Night Clubs أصبحت اسماً سيئاً يسيطر عليه الشيطان. ومن يتردد على هذه النوادي، تسوء سمعته ...

لذلك فالقديسون الذين يعيدون ليل كرامته، ويضمونه إلى ملاكوت الله، لا ينسى لهم الرب تعبهم وسهرهم وصلواتهم.. هؤلاء الذين يرون انساب نائمى فى الليل، فينفردون هم مع الله فى صلاة ومناجاة.. كما يقول داود النبى "فى نصف الليل نهضت لأشكر على أحكام عدلك" "سبقت عيناى وقت السحر، لأتلو فى جميع أقوالك" "كنت أذكرك على فراشى، وفى أوقات الأسحار كنت أرتل لك" (مز ١١٩)



نعم يا أخى، إن كان العالم قد اشترى منك النهار، وأعطاك ثمنه وظيفه ومرتباً، فإنه يبقى لك الليل تقضيه مع الله. لا تمنعك عنه المشاغل التى أخذت منك وقتك بالنهار.. هذا الليل فى هدوئه وفى صفائه، وفى بعده عن الخلطة وعن المعطلات، هو مجال طيب لعلاقة مع الله، تبثه أشواقك، وتعتذر فيه عما شغلك عنه

بالنهار.. ولا عذر لك بالليل، إن تكاسلت عن الوجود في حضرة الله.
وإن تكاسلت نفسك، واعتذرت بالتعب أو بالرغبة في النوم، وبخها
قائلاً لها "انهضى من رقاد الكسل، وتضرعى للمخلص بالتوبة..".



صديق الليل ، الذى يشتهى صداقتك مقدماً لك هدوءه .

ومقدماً لك بعده عن ضوضاء العالم وضجيجيه، وبعده عن الذين
يعكرون صفو هدوئك باللقاءات والأحاديث .. لا تضيع ثلث حياتك
نوماً. إنما قطع الليل بالصلاة. وحتى إن صعدت إلى فراشك، قدسه
بالمزامير وبالصلوات وبالأفكار الروحية، حتى يكون نومك طاهراً،
والمضجع مقدساً. وصلواتك في الليل تغرس في عقلك الباطن أفكاراً
مقدسة، تغذى روحك وتعينك في محارباتك .

وكما يكون الله آخر من تتحدث إليه قبل نومك في الليل، يكون
الله أيضاً أول من تتحدث إليه حينما تستيقظ في النهار. فيكون هو
البداية والنهاية في كل يوم من أيامك .

ما أكثر ما نعاتب الله كأنه لم يعطنا . وما أقل أن نعاتب
أنفسنا، لأننا لم نعطي الله ما يجب من وقتنا ...

لا تتم أكثر مما يحتاج جسدك. فالنوم الكثير يتعب جسدك
بالخمول، ويتعب روحك أيضاً في حرمانها من وقت يمكن أن يكون
مع الله، لفائدتك.. أما اليقظة فتعطيك نشاطاً وحركة .. ليتكم حينما

ترجعون الليلة إلى بيوتكم ، تضعون أمامكم قول الرب "أما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة" (مت ٢٦ : ٤٠).

وكلما تكسل نفسك فى عملها الروحى، وبخها قائلاً "انهضى من رقاد الكسل، وتضرعى ..".



لا تترك نفسك فى دوامة : ليل يسلمها إلى نهار، ونهار يسلمها إلى ليل، وكأنها فى غيبوبة أو فى غفلة، لا تدرى ما هى فيه. كمن هو فى دوامة، تلفة الأمواج وتسحبه معها إلى أسفل.. وإن حدث وأخذك النوم، قل لنفسك "أنا أضجعت ونمت، ثم استيقظت لأن الرب معى" (مز ٣) . وقل "أنا استيقظت مبكراً" ..
قم من نومك ، كما قامت العذارى الحكيمات .

مصباحك فى يدك، وهو مملوء زيتاً. والزيت يرمز إلى الروح القدس. واسهر منتظراً العريس السمائى. لأنك لا تعرف متى يأتى: أمساء، أم نصف الليل، أم صياح الديك ، أم صباحاً" (مر ١٣ : ٣٥).
فكن مستيقظاً باستمرار للقاء الرب .



فحينما تطلب من نفسك أن تنهض من رقاد الكسل،
لتكن هذه دعوة دائمة تستمر مدى الحياة .

فى الواقع إن الكسل فى الحياة الروحية، إنما يضيع حياة

الإنسان. مثلما وبخ الرب الذى دفن وزنته فى التراب، ولم يتاجر بها ويربح. فقال له الرب "أيها العبد الشرير والكسلان.." (مت ٢٥: ٢٦) . فهذا الذى لم يربح بوزنته ، اعتبر شريراً وكسلاناً ...

عليك إذن أن تبيع روحيات لنفسك، وتبيع نفوساً للمسيح . وتربح نمواً لك وللكنيسة .. وتوبخ نفسك كلما تكسل، ولا تقبل منها أعذاراً فى ذلك مثلما قال الكسلان "الأسد فى الطريق ، الشبل فى الشوارع" (أم ٢٦: ١٣) .. كل الأعذار يمكنك أن تنتصر عليها، إن كانت لك رغبة صادقة فى الحياة مع الله ...



إن الشيطان يمكن أن يحاربك بمخاوف كثيرة، ويقدم لك تبريرات للكسل. فلا تسمع له .. واعرف أن أولاد الله ينبغي أن يكونوا شجعاناً، مثلما قيل عن حراس عرش سليمان إنهم جبابرة "كلهم قابضون على سيوفهم. ومتعلمون الحرب. كل رجل سيفه على فخذه من هول الليل" (نش ٣: ٧ ، ٨) .

أولاد الله يكونون دائماً "حارين فى الروح" (رو ١٢: ١١) . وأنهم "غير متكاسلين فى الإجتهد" . وكما قال لهم الرسول "كونوا راسخين غير مترعزعين، أكثرين فى عمل الرب كل حين. عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب" (١كو ١٥: ٥٨) .



أَيَّتْهَا الْعَذْرَاءُ الطَّاهِرَةُ

آيتها العذراء الطاهرة :

اسبلى ظلك السريع المعونة على عبدك .
وابعدى أمواج الأفكار الرديئة عنى .
وأنهضى نفسى المريضة للصلاة والسهر ،
لأنها استغرقت فى سبات عميق .
فإنك أم قادرة رحيمة .
والدة ينبوع الحياة ، ملكى وإلهى
يسوع المسيح رجائى

أهى صلاة أم إستشفاع ؟

غير الأرثوذكس، الذين لا يتشفعون بالعذراء القديسة مريم، لا يصلون هذه القطعة وأمثالها فى الأجبية، ظانين أنها صلاة موجهة إلى القديسة العذراء، بينما الصلاة هى لله وحدها
ولكننا لا نصلى أبداً إلى العذراء مريم.
إنما أثناء صلاتنا لله، نتحدث إليها، طالبين معونتها.
وهذا الأمر مألوف جداً فى الكتاب المقدس.
وبخاصة فى مزامير داود.



١ - أثناء صلاة داود فى المزامير، يتجه إلى نفسه ويخاطبها:
فيقول فى صلاته: "باركى يا نفسى الرب، وكل ما فى باطنى
فليبارك اسمه القدوس. باركى يا نفسى الرب، ولا تنسى كل حسناته"
(مز ١٠٣ : ١ ، ٢).

وهو يخاطب نفسه أثناء صلاته في (مز ٤٢ : ٥) ويقول "لماذا أنت حزينه يا نفسى؟ لماذا ترعجيتنى؟ توكلى على الله..".

ويقول لنفسه في مزمور آخر "ارجعى يا نفسى إلى موضع راحتك، فإن الرب قد أحسن إلى" (مز ١١٦ : ٧).

ويتحدث داود إلى نفسه في صلوات الأجبية فيقول:

"توبى يا نفسى مدمت فى الأرض ساكنة. لأن التراب فى القبر لا يستبح، وليس فى الموتى من يذكر..".

وأيضاً أثناء صلاته، يلتفت إلى نفسه ويقول لها:

"لو كان العمر ثابتاً، وهذا العالم مؤبداً، لكان لك يا نفسى حجة واضحة. لكن إذا إنكشفت أفعالك الرديئة وشرورك القبيحة أمام الديان العادل، فأى جواب تجيبين، وأنت على سرير الخطايا منطرحه، وفى إخضاع الجسد متهاونة؟"

هل نقول هنا أن المصلى يصلى إلى نفسه؟ أهذا معقول؟ أم نقول إنه فى صلاته إلى الله، يلتفت إلى نفسه ويخاطبها، أمام الله..



٢ - وكما يخاطب نفسه أثناء صلاته، كذلك يخاطب الملائكة:

فيقول فى (مز ١٠٣) "باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة، الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه. باركوا الرب يا جميع

جنوده، خدامه العاملين مرضاته".

ولعله أيضاً كان يتجه إلى الملائكة حينما قال فى مزمور آخر:
"أرفعوا أيها الرؤساء أبوابكم، وارتفعى أيتها الأبواب الدهرية،
فيدخل ملك المجد..." (مز ٢٤).

فهل نقول أن داود كان يصلى إلى الملائكة؟ كلا طبعاً. ولكنه
كان يخاطبهم أثناء صلاته، وأحياناً بروح النبوة.



٣ - بل إنه كان فى صلاته، يتجه أحياناً إلى الشياطين أو
الأشرار ويخاطبهم.

وهكذا نراه وهو يصلى فى المزمور السادس، يتجه إليهم
ويقول: "أبعدوا عني يا جميع فاعلى الإثم. لأن الرب قد سمع
صوت بكائى. الرب سمع صوتى تضرعى. الرب لصلاتى قبل".



٤ - وداود أثناء صلاته يخاطب مجموعات كثيرة من الناس.
فنراه يقول فى مزمور كامل "ها باركوا الرب يا عبيد الرب،
القائمين فى بيت الرب، فى ديار إلها. فى الليالى أرفعوا أيديكم أيها
القديسون وباركوا الرب" (مز ١٣٤).

ويقول فى مزمور آخر "سبحوا الرب أيها الفتيان. سبحوا الرب.

ليكن اسم الرب مباركاً من الآن وإلى الأبد. من مشارق الشمس إلى مغاربها، باركوا اسم الرب... (مز ١١٣).

وفي مزمور آخر يقول "قدموا للرب يا أبناء الله، قدموا للرب أبناء الكباش. قدموا للرب مجداً وكرامة. قدموا للرب مجداً لإسمه. اسجدوا للرب في دار قدسه.. (مز ٢٩).

ويقول في (مز ٩٨) "سبحوا للرب تسبيحاً جديداً.. هللوا للرب يا كل الأرض. سبحوا وهللوا. رتلوا. رتلوا للرب بالقيثارة، بالقيثارة وصوت المزمار.. هللوا أمام الرب الملك".

(والمزمور ١٠٠) كله بنفس هذا الأسلوب "هللوا للرب يا كل الأرض.."

وكذلك (مزمور ٤٧) كله "يا جميع الأمم صفقوا بأيديكم..". فهل داود كان يصلى إلى جميع الأمم، وإلى كل الأرض؟ أم كان وقت صلاته، يتجه إليهم، ويدعوهم إلى الصلاة معه..



٥ - وكان داود في صلاته ، يتجه إلى أورشليم ويخاطبها:

فيقول في (مز ١٤٧) "سبحي الرب يا أورشليم، سبحي إلهك يا صهيون. لأنه قسوى مغاليق أبوابك، وبارك بنيك فيك. وجعل تخومك في سلام". ويقول لها في (مز ٨٧) "أعمال مجيدة قد قُلت عنك يا مدينة الله"

فهل من المعقول أنه كان يصلى لأورشليم؟



٦- إن كان الأمر هكذا، وإن كان داود - بروح الله - قد اتجه إلى كل هؤلاء فى صلاته وخاطبهم.. فلماذا لا نتجه نحن أيضاً فى صلاتنا إلى العذراء ونخاطبها طالبين شفاعتها؟!

أيتها العذراء الطاهرة :

إننا نطوب العذراء فى بتوليبتها، وفى أمومتها، وفى معونتها.
لقد عاشت عذراء، وولدت وهى عذراء، واستمرت عذراء بعد ولادتها للسيد المسيح، لذلك تلقبها الكنيسة بلقب "دائمة البتولية".
وهنا نناديها فى صلاتنا بعبارة "أيتها العذراء الطاهرة".
إن مجرد كلمة (العذراء) بدون ذكر اسم، تعنى العذراء مريم.
فهذا هو الإسم الذى اشتهرت به. وهو الاسم الذى ذكره اشعيا
النبي حينما قال "ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل"
(اش ٧: ١٤). وهذه الآية هى التى طمأن بها الملاك يوسف النجار
(مت ١: ٢٢، ٢٣).

وبهذا اللقب نناديها فى صلاة النوم "أيتها العذراء الطاهرة".
دون أن نذكر اسمها. ولكن مجرد عبارة "أيتها العذراء" تكفى..

إننا نحب العذراء من أعماق قلوبنا، ونوقرها. وما أكثر التسابيح
التي باسمها، وبخاصة في الأبصلمودية الكيهكية. وما أكثر كنائسنا
التي تُبنى أيضاً باسمها. وما أكثر ظهوراتها في مصر ومعجزاتها..

أسبلى ظلك السريع المعونة :

والظل يعنى الحماية. كما نقول في المزمور "الساكن في ستر
العلی، في ظل القدير يبيت" (مز ٩١ : ١). وكما تقول عذراء النشيد
عن الرب "تحت ظله اشتفيت أن أجلس" (نش ٢ : ٣). وكما قال
الأنبا بولس البسيط لمعلمه الأنبا أنطونيوس "أعيش تحت ظل
صلواتك".

وهنا ظل سريع المعونة. أى أن الشفاعة بها سريعة في
استجابتها.. وهذه نقطة إيمانية عملية، نشعر بها في حياتنا.

وعبارة "أسبلى ظلك" معناها أدخلينا تحت حمايتك ورعايتك.

وفي ابى شئ نطلب الحماية؟ يذكر المصلی هنا نقطتين :

أ - إعدى أمواج الأفكار الردية عنى .

ب - أنهضى نفسى المريضة للصلاة والسهر .

إننا نطلب أن تبعد عنا الفكر الردى، سواء في الصحو، أو

في خيالات النوم إن نمنا. وهنا يبدو إيماننا بقوة شفاعة العذراء في

حمايتنا من أمواج الأفكار الرديئة. ويساعدها على ذلك أمران:
أمومتها، وقدرتها.

فإنك أم قادرة رحيمة :

إنها أم لنا جميعاً. إن كان السيد المسيح قال عن العذراء للقديس
يوحنا الرسول الحبيب "هذه أمك" (يو ١٩ : ٢٧). وهذا القديس يقول
لنا "يا أولادى" (١ يو ٢ : ١). فبالتالى تكون العذراء أمنا، مادامت أم
أب لنا... وبالتالى كانت هى الأم الروحية لجميع الرسل.

وهى أم المسيح بالجسد. وهو أيضاً يقول لنا "يا أولادى" (يو ١٣ :
٣٣) وهكذا تكون هى أمنا، لأنها أم أبينا "والدة ينبوع الحياة".
إننا لا ننظر إلى العذراء فقط كقديسة عظيمة، بل أيضاً كأم.
وليست كأم عادية، بل "أم قادرة رحيمة معينة".

وبهذا نثق فى قدرة شفاعتها، المبنية على حنان أمومتها، وعلى
منزلتها العظيمة عند ربنا يسوع المسيح. وهكذا يقول المصلى عنها
"والدة ينبوع الحياة ملكى وإلهى، يسوع المسيح رجائى"
ومادام رجائنا هو يسوع المسيح، فإننا نلجأ إلى أمه، ذات
الشفاعة المقبولة التى تمت أول معجزة له، فى قانا الجليل،
بشفاعتها" (يو ٢ : ٣).

الفهرست

المقدمة ٥

تفسير مزامير :

مزمور من الأعماق صرخت إليك يارب ٧

مزمور ها باركوا الرب ٢٣

مزمور سبحي الرب يا اورشليم ٣٧

تأملات في صلوات قطع النوم :

١ - هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل ٤٩

٢ - توبى يا نفسى مادمت فى الأرض ساكنة ٦٥

٣ - توبى يا نفسى انهضى من رقاد الكسل ٧٧

٤ - أيتها العذراء الطاهرة ٨٧

فصل الكتاب

بسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد آمين
تقرأ فى هذا الكتاب عن
ثلاثة مزامير، هى:

١ - من الأعماق صرخت
إليك.

٢ - ها باركوا الرب .

٣ - سبى الرب يا اورشليم
ونحدثك من قطع صلاة
النوم عن:

١ - هوذا أنا عتيد أن أقف
أمام الديان العادل.

٢ - توبى يا نفسى مادمت
فى الأرض ساكنة .

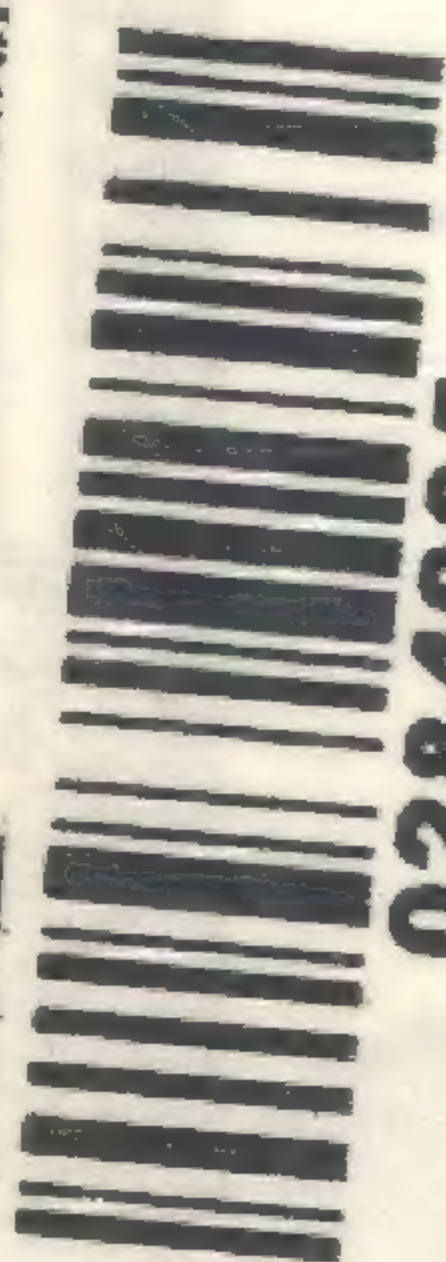
٣ - انهضى من رقاد
الكسل

٤ - أيتها العذراء الطاهرة
وهنا ما أكثر التأملات فى
موضوع التوبة.

البابا شنودة الثالث

Bibliotheca Alexandrina

مكتبة الإسكندرية
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA



0284685